

من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

تأليف الفقير إلى عفو ربه المنان

عبد العزيز المحمد السلمان

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨هـ)
طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

١٤١٨هـ

اهداءات ٢٠٠١
المغفور له عبد العزيز السلمان
السعودية

من معجزات النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف الفقير إلى عفوره المنان

عبد الغزيز المحمّد السّلمان

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨هـ)
طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكّل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة

وقفٌ لله تعالى

١٤١٨هـ

الطبعة الحادية عشر
١٤١٨هـ-١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة والعز والكبرياء والجمال وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والإفضال

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً وعلى آله وأصحابه .

وبعد فلما كانتْ مُعْجَزَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْوَاراً تُشْرِقُ عَلَى الْقُلُوبِ الطَّافِحَةِ بِالْإِيمَانِ وَتَزِيدُهَا قُوَّةً وَثَبَاتاً وَاسْتِقَامَةً أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ مَا تيسَّرَ منها واللهُ المسؤلُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصاً لِرُجَاؤِهِ الْكَرِيمِ .

إِغْلَمَ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْخَوَارِقِ . أَمَّا الْعِلْمُ وَالْأَخْبَارُ الْغَيْبِيَّةُ وَالسَّمَاعُ وَالرُّوْيَةُ .

١- فمثل إخباره صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء المتقدمين وأممهم .

٢- ومخاطبته لهم وأحواله معهم .

٣- وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر .

- ٤- وتارة بما يَعْلَمُهُ الْخَاصَّةُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ .
- ٥- فإِخْبَارُهُ عَنِ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ مَا ضِيَّهَا وَحَاضِرِهَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ .
- ٦- وكذلك إِخْبَارُهُ عَنِ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ .
- ٧- مِثْلَ مَمْلَكَةِ أُمْتِهِ .
- ٨- وَزَوَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ .
- ٩- وَالرُّومِ .
- ١٠- وَقِتَالِ التُّرْكِ وَالْأُتُوقِ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا وَأَمَّا الْقُدْرَةُ وَالنَّائِبَةُ :-
- ١١- فإِنْشِقَاقُ الْقَمَرِ
- ١٢- وَكَذَا مِعْرَاجُهُ إِلَى السَّمَوَاتِ .
- ١٣- وَكَثْرَةُ الرَّمْيِ بِالنُّجُومِ عِنْدَ ظُهُورِهِ
- ١٤- وَكَذَا إِسْرَافُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى .
- ١٥- وَتَكْثِيرُ الْمَاءِ فِي عَيْنِ تَبُوكَ .
- ١٦- وَعَيْنِ الْحُدَيْبِيَّةِ .
- ١٧- وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ .
- ١٨- وَكَذَا تَكْثِيرُ الطَّعَامِ . وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْضُهَا مُوَضَّحاً مَفْصَلاً قَرِيباً .
- ١٩- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ : « سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِياً أَفِيحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِي الْوَادِي فَانْطَلَقَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضُ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ .

فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُومِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى آتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى فَأَخَذَ بَعْضَ أَغْصَانِهَا فَقَالَ : انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْتَصَفِ فِيمَا بَيْنَهُمَا فَلَامَ بَيْنَهُمَا حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ : التَّيْمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالتَّامَتَا عَلَيْهِ .

فَخَرَجْتُ أَخْضَرُ مَخَافَةً أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُرْبِي فَتَبَاعَدْتُ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ « وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

٢٠ - وَمِنْهَا أَنَّهَا انْكَسَرَتْ رَجُلٌ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُتَيْكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا قَتَلَ أَبَا رَافِعٍ الَّذِي يُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاِنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ لِي « ابْسُطْ رِجْلَكَ » فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْكِكْهَا قَطُّ .

٢١ - وَقِصَّةٌ أَمَّ مَعْبِدٍ مَشْهُورَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ بِهَا طَلَبَ لَبَنًا أَوْ لَحْمًا يَشْتَرُونَهُ وَكَانُوا مُرْمِلِينَ مُسْتَنِينَ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئًا قَطُّ فَنَظَرَ إِلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخِيَمَةِ خَلْفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ ، فَسَأَلَهَا هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ فَقَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَتَأْذِينِي لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ! فَقَالَتْ بِأَيْبَى أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا .

فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاعْتَقَلَهَا وَمَسَحَ صُرْعَهَا فَدَرَّتْ وَاجْتَرَتْ وَدَعَا بِإِنَاءٍ يَشْبَعُ الرُّهْطَ فَحَلَبَ حَتَّى مَلَأَهُ وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى رَوَوْا ثُمَّ شَرَبَ آخِرَهُمْ

ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عِلَّاءَ بَعْدَ نَهْلٍ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوا فَجَاءَ أَبُو مَعْبَدٍ فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ قَالَ مَا هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ أَنَّى لَكَ هَذَا وَالشَّاءُ عَازِبٌ حِيَالٌ وَلَا حَلُوبَةٌ بِالْبَيْتِ فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرٌّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ فَقَالَ صِفِيهِ فَوَصَفَتْهُ لَهُ ، وَذَلِكَ فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُشِيرُ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرِ غَنَاءِ الْعَرَبِ وَأَنَّ النَّاسَ لَيَتَّبِعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَعَتْنِي أُمَّ مَعْبَدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا	فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ	وَمَقْعُدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِعَرَصِدٍ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِيهَا	فِيَانْكُمُوا إِن تَسْأَلُوا الشَّاءَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاءٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ	لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاءِ مُزِيدٍ
فَغَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ	يُدِرُّ لَهَا فِي مَضَدِرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ

فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَنْشَاءً يَقُولُ مُجِيبًا لِلْهَاتِفِ :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ	وَقُدَّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَظَلَّتْ عُقُولُهُمْ	وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدِّدٍ
هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ	وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَرْشِدِ
وَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ	رَكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ	وَيَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

وإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَضِدُّ بِقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْغَدِ
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدِّهِ بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يُسْعِدِ

٢٢ - وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : « كُنْتُ مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ
شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ » رواه الحاكم
في صحيحه .

٢٣ - وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ
نبي ؟ قال : « إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ
اللَّهِ ؟ » قال : نَعَمْ . فدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ
النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ فَعَادَ ،
فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ .

والله أعلم وصلى الله على محمد .

٢٤ - وَلَمَّا بَعَثَتْ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْدَ بَدْرٍ فَقَدَى كُلُّ قَوْمٍ أَسِيرَهُمْ بِمَا رَضُوا وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَسِيرًا قَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُ
أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ وَأَمَّا ظَاهِرُكَ فَقَدْ كَانَ
عَلَيْنَا فَافْتَدِ نَفْسَكَ وَابْنِي أَخَوَيْكَ » قَالَ الْعَبَّاسُ . مَا ذَاكَ عِنْدِي قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ أَنْتَ وَأَمُّ الْفَضْلِ فَقُلْتَ
لَهَا إِنْ أَصِبتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَهَذَا الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ لِبَنِي الْفَضْلِ وَعَبْدُ اللَّهِ
وَقُتْمٌ » .

قَالَ وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ لَا أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِ أُمِّ الْفَضْلِ . . . إلخ .

٢٥ - وقصة اربجاف أحد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أحدًا فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان .

٢٦ - وقصة ماء الركوة وهي ماورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ فجش الناس نحوه فقال : « مالكم ؟ » قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك قال جابر فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا خمس عشرة مائة (١٥٠٠) .

٢٧ - وقصة موت النجاشي وهي ما ورد عن أم كلثوم بنت أبي سلمة ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال لها « إنني قد أهديت للنجاشي أواقى من مسك وحلّة وإنني لا أراه إلا قد مات ولا أرى الهدية إلا سترد إلي ، فإذا ردت إلي فهي لك » فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي ورددت إلى النبي صلى الله عليه وسلم هديته فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك وأعطى سائرته أم سلمة .

٢٨ - وقصة عكاشة بن محصن بن حرنان الأسدي حينما اندفع يقاتل المشركين يوم بدر ويخضد فيهم خضداً حتى انكسر سيفه فلم يثنه ذلك عن خوض المعركة ولم يتخذ من كسر سيفه معذرة عن القتال

فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ بِكَسْرِ سَيْفِهِ وَإِرَادَةِ غَيْرِهِ فَدَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ جِذْلًا مِنْ حَظَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهِذَا يَاعُكَّاشَةُ .

فَلَمَّا أَخَذَهُ عُكَّاشَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ذَلِكَ السَّيْفُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ فِي قِتَالِ الرُّدَّةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢٩ - وَقِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرَ وَكَانَ عُمَيْرٌ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ وَيُلْقُونَ مِنْهُ عَنَاءً وَهُوَ بِمَكَّةَ وَكَانَ ابْنُهُ وَهَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ فِي أَسَارَى بَدْرَ قَالَ فَذَكَرَ عُمَيْرُ أَصْحَابَ الْقَلَيْبِ وَمُصَابِيَهُمْ فَقَالَ صَفْوَانُ وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ .

قَالَ عُمَيْرُ صَدَقْتَ وَاللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا دَيْنُ عَلِيٍّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخَشَى عَلَيْهِمُ الضَّبْعَةَ بَعْدِي لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ فَإِنَّ لِي قَبْلَهُمْ عِلَّةٌ ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ قَالَ فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ عَلِيُّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أَوْاسِيهِمْ مَا بَقُوا لَا يَسْعُنِي شَيْءٌ يَعْجِزُ عَنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَيْرُ فَانْكُتُم شَأْنِي وَشَأْنَكَ قَالَ أَفْعَلُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ ، فَقَالَ عُمَرُ هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ .

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ : قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ ، قَالَ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّاهُ بِهَا .

وقال لِرِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ واحذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَيْثِ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَرْسِلْهُ فَدَنَا عُمَيْرُ .

فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ » قال جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ يَغْنِي وَلَدَهُ قَالَ فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ قَالَ قَبَحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا قَالَ « أَصْدُقْنِي مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ » قال مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ .

قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلَيْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلْتَ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا فَتَحْمِلَ لَكَ صَفْوَانُ بَدَيْنِكَ وَعِيَالُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ » .

فقال عُمَيْرُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْذِبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَخْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَفَعَلُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَاقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطِيعُوا لَهُ أَمْرَهُ » فَفَعَلُوا . . إلخ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

شعرا :

فَوَادُّ مَا يَقِرُّ لَهُ قَرَارُ وَأَجْفَانُ مَدَامُعُهَا غِزَارُ
وَلَيْلُ طَالَ بِالْأَنْكَادِ حَتَّى ظَنَنْتُ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَلَمْ لَا وَالتُّقَى حُلَّتْ عُرَاهُ وَبَانَ عَلَى بَيْنِهِ الْإِنْكَسَارُ
لِيَبْنِكَ مَعِيَ عَلَى الدِّينِ الْبَوَاكِي فَقَدْ أَضَحَتْ مَوَاطِنُهُ قِفَارُ
وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهُ اغْتِدَاءً وَزَالَ بِذَاكُمُوهَا عَنْهُ الْوَقَارُ
وَأَضْبَحَ لَا تُقَامُ لَهُ حُلُودُ وَأَمْسَى لَا يُبْنَى لَهُ شِعَارُ
وَعَادَ كَمَا بَدَا فِينَا غَرِيباً هُنَالِكَ مَالَهُ فِي الْخَلْقِ جَارُ
فَقَدْ نَقَضُوا عُهْدَهُمُوهَا جِهَاراً وَأَسْرَفُوا فِي الْعَدَاوَةِ ثُمَّ سَارُوا

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَّثَ مِنَ الْبِدْعِ
وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ
أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

٣٠ - وقصة حنين الجذع ما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لي غلاماً نجاراً قال إن شئت قال فعملت
له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر
الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن

تَنْشَقُّ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ
ثَنُّنُ أُنَيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ .

٣١ - وقصة عكَّة أم سليم لما وردَ عن أنس عن أمِّه قالت كانت لنا
شاة جمعت من سمنها في عكَّة فملأت العكَّة ثم بعثت بها مع ربيبة
فقالَت ياربِيبَةُ فبلَّغني هذه العكَّة رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم يأتدِمُ
بها فانطلقت بها الربيبة حتَّى أتت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم فقالت
يارسولَ الله هذه عكَّة سمن بعثت بها إليك أم سليم فقال أفرغوا لها
عكَّتها ففرغت العكَّة فدُفِعَتْ إليها فانطلقت بها .

وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلقَت العكَّة على وتد فجاءت
أم سليم فرأت العكَّة مُمتلئة تقطر فقالت أم سليم ياربِيبَةُ أليس
أمرتكِ أَنْ تَنْطَلِقِي بها إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم فقالت قد
فعلتُ فإن لم تُصدِّقيني فانطَلِقِي فسَلِّي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم .
فانطلقت ومعهما الربيبة .

فقالت يارسولَ الله إنِّي قد بعثت معها إليك بعكَّة فيها سمن قال قد
فعلت قد جاءت قالت والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لمُمتلئة
تقطر سمناً قال : فقال لها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « يا أم سليم
أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعم نبيُّه كُلِّي وأطعمني » قالت
فجئت إلى البيت فقسمت في قُعبٍ لنا كذا وكذا وتركتُ فيها ما
اِثْتَدَمْنَا بِهِ شَهْرَيْنِ .

٣٢ - وقصة طيب عتبة صاحب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قالت
أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد كنا عند عتبة ثلاث نسوة ما منا واحدة

إِلَّا وَهِيَ تَجْتَهُدُ فِي الطَّيِّبِ لِيَتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا وَمَا يَمَسُّ عُتْبَةَ بْنِ
فَرْقَدٍ طَيْبًا إِلَّا أَنْ يَلْتَمِسَ دُهْنًا وَكَانَ أَطْيَبَ رِيحًا مِنَّا فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ .
فَقَالَ أَصَابَنِي الشَّرَى « حِكَّةٌ فِي الْجِلْدِ » عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْعَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَجَرَّدْتُ
وَأَلْقَيْتُ ثِيَابِي عَلَى عَوْرَتِي فَنَفَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَفِّهِ
ثُمَّ دَلَكَ بِهَا الْأُخْرَى ثُمَّ أَمَرَهُمَا عَلَى ظَهْرِي فَعَبَّقَ بِهَا مَا تَرَوْنَ .

٣٣ - وَقِصَّةُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ لِبَصَلَةِ الْعِشَاءِ وَهَاجَتِ الظُّلُمَاءُ مِنَ
السَّمَاءِ وَبَرَقَتْ بَرَقَةٌ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةُ ؟ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتُ
إِنَّ شَاهِدَ الصَّلَاةِ اللَّيْلَةِ قَلِيلٌ فَأَخْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفْتَ فَأْتِنِي قَلَمًا
انْصَرَفَ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِزْجُونًا وَقَالَ « خُذْهُ
فَسِيْضِيءُ أَمَامَكَ عَشْرًا وَخَلْفَكَ عَشْرًا » .

٣٤ - وَقِصَّةُ أَبِي جَابِرٍ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ تُوِّفِيَ أَبِي شَهِيدًا فِي أَحَدٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاسْتَعْنَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غُرْمَائِهِ أَنْ يَضْعُوهَا مِنْ دَيْنِهِ فَطَلَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَلَمْ يَفْعَلُوا فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَعْمَرَكَ أَصْنَفًا
الْعَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ وَعِذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ » (أَنْوَاعُ التَّمْرِ) .

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ قَالَ جَابِرُ : فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلَاهُ أَوْ فِي وَسْطِهِ ثُمَّ قَالَ كِلَ لِلْقَوْمِ قَالَ جَابِرُ
فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ تَعْمِرِي كَانَ لَمْ يَنْقُصَ مِنْهُ شَيْءٌ .

٣٥ - وَقِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَافِرٌ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْتَغْتَهَا فِي بِلَادِهَا » فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَسِيرِ ، كَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُخَبِّرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .

ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً وَجَعَلَ لَهَا عَطَاءً عَلَى أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ قَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا « جَدَائِلَهَا » .

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ أَدْرَكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبٌ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَذِّرُهُمْ مَا أَجْمَعْنَا عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ .

فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْخَلِيقَةِ « اسْمُ مَوْضِعٍ » فَاسْتَنْزَلَاَهَا فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِنِّي أَخْلَفْتُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذَبْنَا وَلَتُخْرِجَنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكَ .

فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُمَا قَالَتْ أَعْرِضْ فَأَعْرِضْ فَحَلَّتْ قُرُونُ رَأْسِهَا فَاسْتَخْرِجَتِ الْكِتَابَ مِنْهَا فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَاتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبًا فَقَالَ يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ! ؟ .

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ

وَلَكِنِّي أَمَرْتُ لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ
وَلَدٌ وَأَهْلٌ فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِمْ

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقَةٍ فَإِنَّ الرَّجُلَ
قَدْ نَافَقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ
اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَذْرِ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »
فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)
الآيَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٣٦ - وَقِصَّةُ لَبَنِ أَهْلِ الصُّفَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَعَدَ يَوْمًا عَلَى
الطَّرِيقِ فَمَرُّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَاهُ وَعَرَفَ
مَا فِي نَفْسِهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » قَالَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ
فَقَالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قَالُوا مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانَةٍ .

قَالَ أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَةِ
فَادْعُهُمْ لِي قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَأَعْنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ
الصُّفَةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فَإِذَا
جَاؤَا أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ .

قَالَ فَاتَيْنُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأُذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ
مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ خُذْ فَأَعْطِهِمْ قَالَ
فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِيَ ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ
الْقَدَحَ . حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ .

فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ
لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ
أَقْعُدْ فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فَقَالَ اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَلَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ
حَتَّى قُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا .

قَالَ فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣٧ - وَقِصَّةُ طَعَامِ جَابِرٍ وَذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْهُ قَالَ لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ
رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا فَاثْكَفَاتُ إِلَى أَمْرَاتِي فَقُلْتُ
هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا .

فَأَخْرَجَتُ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْنَاهَا
وَطَحْنَتُ الشَّعِيرَ فَفَرَعْتُ إِلَى فِرَاعِي وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحْنَا
صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ .

فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ
سُورًا فَحَبِّهَاءَ بِكُمْ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ
وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ أَمْرَاتِي فَقَالَتْ بِكَ وَبِكَ فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتُ
فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ .

ثُمَّ قَالَ ادْعِي خَازِنَةَ فَلَتَخْبِزَ مَعَكَ وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا

وَهُمْ أَلْفٌ فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنْ بُرِّمَتْنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنْ عَجِينَنَا لِيُخْبِرُ كَمَا هُوَ .

٣٨ - وعن علي رضي الله عنه قال كنتُ شاكياً فمرَّ بي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرْخِني وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّراً فَارْفَعْني وَإِنْ كَانَ بلاءٌ فَصَبِّرْني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كَيْفَ قُلْتَ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ عَافِهِ أَوْ أَشْفِهِ شَكَّ شُعْبَةُ قَالَ فَمَا اسْتَكَيْتُ وَجَعِي بَعْدُ . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

٣٩ - وَمِنْ ذَلِكَ رَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَقَدْ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ فِي غَزْوَةٍ أُحْدِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَرَدَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدُهُمَا نَظَرًا وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُهُ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفِيِّ أَحْسَنَ الرَّدِّ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنِي وَيَا حُسْنَ مَا خَدُّ وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٠ - وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِسْقَاؤُهُ وَاسْتِصْحَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ففي الصحيحين عن أنسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَغْنِنَا اللَّهُمَّ أَغْنِنَا » قَالَ أَنَسُ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا مِنْ قَرَعَةٍ وَإِنَّ السَّمَاءَ لَمِثْلَ الزُّجَاجَةِ وَمَا بَيْنُنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ دَارٍ .

فوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ مِنْ مَنَبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَدَّرُ عَنْ لِحْيَتِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ : « فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ الشَّمْسَ سَبْتًا قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ

البَاب فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ
وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُنْسِكَهَا عَنَّا ، قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ
وَالظُّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » ، قَالَ فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةِ
إِلَّا أَنْفَرَجَتْ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ فِي مِثْلِ الْجُوبَةِ وَسَلَّ الْوَادِي قَنَاءَ شَهْرًا .

وَمِنْ قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ لَأَبِي طَالِبٍ قَالَهَا لَمَّا تَمَلَّاتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ وَنَفَرُوا
عَنْهُ وَأَوَّلُهَا .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوِدَ عِنْدَهُمْ
وَقَدْ جَاهَرُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَخْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبَ
كَذَبْتُمْ وَرَبَّ الْعَرْشِ نَبِيَّ مُحَمَّدًا
وَنُسَلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ دُونَهُ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ نَحْوَكُمْ غَيْرَ غُزَلٍ
وَمَا تَرَكُ قَوْمٍ لَا أَبَالَكَ سَيِّدًا
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ ثَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَمْسَكَتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
عَلَيْنَا يَسُوءُ أَوْ مُلِحَ بِبَاطِلٍ
لَدَيْنَا وَلَا يَعْنِي بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
وَلَمَّا نَطَاعِنُ عِنْدَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُذْهِلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ
نُهُوضُ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
بِئْسَ حَدِيثُ عَهْدُهَا بِالصِّيَاقِلِ
يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاقِلِ
ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاصِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ كُفِّتُ وَجْداً بِأَحْمَدٍ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤْمِلٍ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
وَمِيزَانٌ حَقِي مَا يَعُولُ شَعِيرَةٌ
فَوَ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسَبَّةٍ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ ذُو أَرْوَمَةٍ
حَدَّثْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
وَأَخَوْتِهِ ذَابَ الْمُحِبِّ الْمَوَاصِلُ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
يُؤَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ
وَوَزَّانٌ حَقِي وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ
تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنْ الدَّهْرِ جِداً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
تُقَصِّرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرِي وَالْكَلَاكِلِ
وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلٍ

٤١ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ
إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدٌ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرِيَءَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

٤٢ - وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالْدَّمَاءِ ، ضَرْبُهُ
بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ مَالِكُ قَالَ : فَعَلَّ هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ
جَبْرِيلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً ؟ قَالَ نَعَمْ فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي
فَقَالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاَهَا فَجَاءَتْ تَمْثِلِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ
مُرْهَا فَلْتَرْجِعِ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ لَهَا ارْجِعِي فَرَجَعَتْ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبِيَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٣ - وَمِنْهَا اطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ مِنْ
أَصْحَابِهِ بِتَمَرَاتٍ قَلِيلَةٍ ، فَفِي كُتُبِ السَّيَرِ وَغَيْرِهَا أَنَّ ابْنَةَ لِبَشِيرِ بْنِ
سَعْدٍ أُخْتُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَتْ : دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ

فَاعْطَنِي حَفَنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ قَالَتْ أَيُّ بُنْيَةٍ اذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ
وَخَالَكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَئِهِمَا .

قَالَتْ : فَأَخَذْتُهَا ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَنَا التَّمِسُّ أَبِي وَخَالَي ، فَقَالَ « تَعَالِي يَا بُنْيَةُ ، مَا هَذَا مَعَكَ ؟ »
قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ
وَخَالَي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِي ، قَالَ « هَاتِيهِ » قَالَتْ فَصَبَّبْتُهُ فِي كَفِّي
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَمَا مَلَأَتْهُمَا .

ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ ، ثُمَّ دَخَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ
ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ « اضْرَحْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ ، أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْعَدَاءِ »
فاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَزِيدُ ، حَتَّى
صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ .

٤٤ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ قَبْلَ مَسِيرِهِمْ إِلَى
فَتْحِ مَكَّةَ وَهُمْ يَتَجَهَّزُونَ لِلْمَسِيرِ أَنَّهُ يَصِيرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ دِمَاءٌ
قَلِيلَةٌ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ
بَعْضِ كِتَابِيهِ حِينَ دُخُولِهِمْ مَكَّةَ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَعَدُوا بِالْخَنْدَمَةِ ،
لِيَرُدُّوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَعْمِهِمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ مُنَاوَشَةً قَلِيلَةً ،
وَقُتِلَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ ، وَقَدْ مَلَكَهُمْ الرُّعْبُ وَالذُّعْرُ
وَجَلَّلَهُمُ الْخَوْفُ ، وَحَدِيثُهُمْ فِي خَبَرِ الْفَتْحِ مَشْرُوحٌ .

٤٥ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَجَعَ الْأَخْزَابُ
خَائِبِينَ « الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا » فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَإِنَّ قُرَيْشًا
بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى غَزْوِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

توجه إلى مكةَ عامَ الحُدَيْبِيَّةِ ، فصالحوه وهادئوه ، ثم دخل مكةَ من قَابلٍ مع أصحابِهِ آمنين ، ثم فتَحَهَا بعدَ ذَلِكَ .

٤٦ - ومنها إخبارُهُ صلى الله عليه وسلم أنَّ ابنتَهُ فَاطِمَةَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِحُوقاً بِهِ ، فَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُوفِّيتُ بَعْدَهُ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ خَمْسَ وَسَبْعِينَ يَوْمًا ، أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ ، وَلَمْ يُتَوَفَّ قَبْلَهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

٤٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ ، وَأَرْبَدَ بْنَ قَيْسٍ ، وَهُوَ أَخُو لَبِيدُ بْنُ رَيْبَعَةَ ، وَقَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فِي قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَقَالَ عَامِرٌ لَأَرْبَدَ ، إِذَا قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ ، فاعْلُهُ أَنْتَ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى تَقْتُلَهُ ، قَالَ أَرْبَدُ أَفْعَلُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَامِرٌ يَمْشِي ، وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِنْ أَسَلَمْتُ ، فَقَالَ لَكَ مَا لِلْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ أَلَا تَجْعَلُنِي الْوَائِي مِنْ بَعْدِكَ .

قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، وَلَا لِقَوْمِكَ ، وَلَكِنْ لَكَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ ، تَغْزُو بِهَا ، قَالَ أَوْ لَيْسَتْ لِي الْيَوْمُ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لِي وَلَكَ الْمَدَدَ ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، فَقَالَ قُمْ يَا مُحَمَّدُ ، إِلَى هَهُنَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ عَامِرٌ يَدَهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى أَرْبَدَ ، أَنْ اضْرِبْ ، فَسَلَّ أَرْبَدُ سَيْفَهُ ، قَرِيبًا مِنْ ذِرَاعٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَ اللَّهُ يَدَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْلُهُ ، وَلَا يُغْمِدَهُ .

فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَرْبَدَ ، فَرَأَاهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ اللَّهُمَّ اهْدِ بَيْتِي عَامِرَ ، وَاغْنِ الدِّينَ عَنْ عَامِرٍ ، فَانْطَلَقَا وَعَامِرٌ يَقُولُ ، وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ خَيْلًا دُهْمًا ، وَوَرْدًا ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ ، وَأَبْنَاءُ قَيْلَةٍ ، يَغْنِي
الْأَنْصَارَ ، ثُمَّ قَالَ عَامِرُ لَأَرْبِدَ ، وَبِلَكَ لِمَاذَا أَمْسَكْتَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ وَاللَّهِ
مَا هَمَمْتُ بِهِ مَرَّةً ، إِلَّا رَأَيْتُكَ ، وَلَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسِّيفِ .

وَسَارَ عَامِرٌ ، فَطَرَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ ، فَقَتَلَهُ ، فِي بَيْتِ
امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ يَا آلَ عَامِرَ ، غُدَّةَ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ ،
وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ ، وَانْتَهَتْ حَيَاتُهُ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا أَرْبِدُ ، فَقَدِمَ عَلَى
قَوْمِهِ ، فَقَالُوا مَا وَرَاءَكَ ، يَا أَرْبِدُ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا مُحَمَّدٌ ، إِلَى
عِبَادَةِ شَيْءٍ ، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ ، فَأَرْمِيهِ بِنَبْلِي هَذَا ، حَتَّى أَقْتُلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَقَاتِلِهِ ، بِيَوْمِ أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَمَعَهُ جِمَالٌ لَهُ تَتَّبَعُهُ فَأَرْسَلَ
اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً ، فَأَحْرَقَتْهُ ، وَقِيلَ نَزَلَ فِي صَاعِقَتِهِ « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا » - إِلَى قَوْلِهِ - وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ .

٤٨ - وَمِنْهَا إِطْعَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَنِي الْمُطْلِبِ بِذِرَاعِ جَزُورٍ
وَعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ النَّقْلِ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنْذَرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أَمَرَ عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ « يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ
أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ ، فَضِيقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا ، وَعَرَفْتُ أَنِّي
مَتَى أَبَادِيهِمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرَى مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، فَصَمْتُ عَلَيْهَا ، حَتَّى
جَاءَنِي جِبْرِيلُ ، فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ الْآتِ فَعَلْ مَا تَوْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ . فَاصْنَعْ
لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا رِجْلَ شَاةٍ ، وَامْلَأْ لَنَا عُسًا مِنْ لَبَنٍ .

ثُمَّ اجْمَعَ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطْلِبِ حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَفَعَلْتُ
مَا أَمَرَنِي بِهِ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا يَزِيدُونَ رَجُلًا
أَوْ يَنْقُصُونَهُ ، فِينَهُمْ أَعْمَامُهُ أَبُو طَالِبٍ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَأَبُولَهَبٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، دَعَانِي بِالطَّعَامِ الَّذِي صَنَعْتُهُ ، فَجِئْتُ بِهِ .
فَلَمَّا وَضَعْتُهُ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَذِيَّةً مِنَ اللَّحْمِ
فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ ثُمَّ قَالَ خُذْ بِاسْمِ اللَّهِ ،
فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَالَهُمْ بَشِيءٌ حَاجَةٌ ، وَابْنُ اللَّهِ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ
مِنْهُمْ لَيَأْكُلُ مِثْلَ مَا قَدَّمْتُ لَجَمِيعِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ اسْتَقِ الْقَوْمَ ، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعُسِّ ، فَشَرَبُوا حَتَّى رَوَوْا
جَمِيعاً ، وَابْنُ اللَّهِ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَيَشْرَبُ مِثْلَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُولَهَبٌ فَقَالَ
سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ ، وَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَالَ الْغَدَّ « يَا عَلِيُّ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ ، فَتَفَرَّقَ
الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكَلِمَهُمْ ، فَعُدْ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعْهُمْ »
فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ ، فَدَعَانِي بِالطَّعَامِ ، فَقَرَّبْتُهُ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ
بِالْأَمْسِ : فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا .

ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَذْعُوَكُمْ
إِلَيْهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُؤَازَرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيِ
نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيقاً لَهُ .

٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، أَنَّ مَعْمَرَ بْنَ يَزِيدٍ وَكَانَ
أَشْجَعَ قَوْمِهِ ، اسْتَغَاثَتْ بِهِ قَرِيْشٌ ، وَشَكُّوا إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ بَنُو كِنَانَةَ تَصُدُّرُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَتَطِيعُ أَمْرَهُ ، فَلَمَّا شَكُّوا

إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُمْ إِنِّي قَادِمٌ إِلَى ثَلَاثَ ، وَأُرِيحُكُمْ مِنْهُ ، وَعِنْدِي عِشْرُونَ
أَلْفٍ مُدَجَّجٍ ، فَلَا أَرَى هَذَا الْحَيَّ ، مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْدِرُ عَلَى حَرْبِي .

وَلَمَّا سَأَلُونِي الدِّيَّةَ ، أُعْطَيْتُهُمْ عَشْرَ دِيَّاتٍ ، فَفِي مَالِي سَعَةٌ وَهُوَ مَشْهُورٌ
بِالشَّجَاعَةِ ، وَالْبَأْسِ ، فَلَيْسَ يَوْمَ وَعْدِهِ قُرَيْشًا سِلَاحَهُ ، وَظَاهَرَ بَيْنَ
دِرْعَيْنِ ، فَوَافَقَهُم بِالْحَطِيمِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحِجْرِ
يُصَلِّي ، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِكَ ، فَمَا التَفَتَ ، وَلَا تَزَعَزَعَ ، وَلَا قَصَرَ فِي صَلَاةٍ .

فَقِيلَ لَهُ هَذَا مُحَمَّدٌ سَاجِدٌ ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ ، وَقَدْ سَلَّ سَيْفَهُ ، وَأَقْبَلَ
نَحْوَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَى بِسَيْفِهِ ، وَعَادَ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِ الصِّفَا ،
عَثَرَ فِي دِرْعِهِ ، فَسَقَطَ ، فَقَامَ وَقَدْ أَذْمَى وَجْهَهُ بِالْحِجَارَةِ ، يَعْذُو كَأَشَدُّ
الْعَدُوِّ ، حَتَّى بَلَغَ الْبَطْحَاءَ ، مَا يَلْتَفِتُ إِلَى خَلْفٍ ، فَاجْتَمَعُوا وَغَسَّلُوا ،
عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ ، وَقَالُوا : مَاذَا أَصَابَكَ ، قَالَ وَيْحَكُمْ ، الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُموهُ ،
قَالُوا مَا شَأْنُكَ قَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، دَعُونِي تَرْجِعْ إِلَى نَفْسِي
فَتَرَكُوهُ ، سَاعَةً ، وَقَالُوا مَا أَصَابَكَ يَا أَبَا اللَّيْثِ ، قَالَ إِنِّي لَمَّا دَنَوْتُ
مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهْوِيَ بِسَيْفِي إِلَيْهِ ، أَهْوَى إِلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ
شُجَاعَانِ ، أَقْرَعَانِ ، يَنْفَخَانِ بِالنِّيرَانِ ، تَلَمَعُ مِنْ أَبْصَارِهِمَا ، فَعَدَوْتُ
فَمَا كُنْتُ لِأَعُودَ ، فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاعَةِ مُحَمَّدٍ .

٥٠ - قَالَ وَمِنْ أَعْلَامِهِ :

أَنَّ كِلْدَةَ بْنَ أَسَدٍ أَبَا الْأَشَدِّ ، وَكَانَ مِنَ الْقُوَّةِ بِمَكَانٍ ، خَاطَرَ قُرَيْشًا
يَوْمًا فِي قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْظَمُوا لَهُ الْخَطَرَ ،
إِنْ هُوَ كَفَاهُمْ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّرِيقِ يُرِيدُ
الْمَسْجِدَ ، مَا بَيْنَ دَارِ عَقِيلٍ ، وَعِقَالٍ ، فَجَاءَ كِلْدَةُ ، وَمَعَهُ الْيَزْرَاقُ ،

فَرَجَعَ الْمَزْرَاقُ فِي صَدْرِهِ ، فَرَجَعَ فَرِعًا ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ مَا لَكَ يَا أَبَا الْأَشَدِّ ، فَقَالَ وَيَحْكُمُ ، مَا تَرَوْنَ الْفَحْلَ خَلْفِي ، قَالُوا لَا مَا نَرَى شَيْئًا ، قَالَ وَيَحْكُمُ فَإِنِّي أَرَاهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْدُو حَتَّى بَلَغَ الطَّائِفَ ، فَاسْتَهْزَأَتْ بِهِ ثَقِيفٌ ، فَقَالَ أَنَا أَعْدُرُكُمْ ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَهَلَكْتُمْ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

٥١ - ومنها أَرْسَلُ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ عَلَى الْأَحْزَابِ ، وَهُمْ قُرَيْشٌ ، وَمَنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَيْلًا ، قَالَ عِكْرِمَةُ قَالَتْ الْجَنُوبُ لِلشَّمَالِ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ ، انْطَلِقِي نَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ الشَّمَالُ إِنَّ الْحَرَّةَ لَا تَسْرِي بَلِيلٍ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّبَا ، فَفَرُّوا لِشِدَّتِهَا عَنْ بَعْضِ أَثْقَالِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ ، وَلَوْ أَقَامُوا إِلَى الصَّبَاحِ لَهَلَكُوا جَمِيعًا .

وَهُوَ الْمَذْلُولُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) .

فَفِي خَبَرِ الْقِصَّةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الْجَزَعَ لِطُولِ الْحِصَارِ ، صَبَعَ إِلَى الْجَبَلِ فَدَعَا اللَّهَ وَكَانَ فِيَمَا دَعَاهُ أَنْ قَالَ « وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِقُوَّتِكَ وَحَوْلِكَ وَقُدْرَتِكَ » .

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ يُخْبِرُهُ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَمَرَ اللَّهُ الرِّيحَ وَالْمَلَائِكَةَ أَنْ يَهْزُمُوا قُرَيْشًا وَالْأَحْزَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ أَنْ يَدْخُلَ مُعَسَّكَرَهُمْ أَيُّ قُرَيْشٍ ، وَيَأْتِي بِأَخْبَارِهِمْ

وَقَالَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَى قُرَيْشٍ الرِّيحَ ، وَهَزَمَهُمْ .
قَالَ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ . لَا تُفِرُّ
لَهُمْ قِذْرًا ، وَلَا نَارًا ، وَلَا بِنَاءً ، فَقَطَعْتُ أَطْنَابَ الْفُسْطَاطِ ، وَقَلَعْتُ
الْأَوْتَادَ ، وَأَكْفَأْتُ الْقَدُورَ ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ . وَكَثُرَ
تَكْبِيرُ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ الْمُعَسْكَرِ .

قَالَ وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ
مَقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الْكِرَاعُ وَالْخَفُّ ، وَلَقَيْنَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ ،
مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِذْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوا
فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ ، فَرُدُّوا بِغَيْظِهِمْ (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) .

فَالْبَارِي جَلَّ وَعَلَا أَرْسَلَ الرِّيحَ عَلَى أَوْلَاشِكَ الْمُشْرِكِينَ ، نَضْرًا لِنَبِيِّهِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَضْدِيقًا لِدَعْوَتِهِ ، وَاسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ ، لِيَعْلِمَهُ
تَعَالَى أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَقُومُونَ بِقِتَالِ
أَوْلَاشِكَ فِيهِ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ .

٥٢ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ
خَيْبَرُ ، أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاةٌ فِيهَا سُمٌّ فَقَالَ « اجْمَعُوا
لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنَ الْيَهُودِ » فَجُمِعُوا ، فَقَالَ لَهُمْ « إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ
شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَالَ
لَهُمْ « مَنْ أَبُوكُمْ ؟ » قَالُوا : فُلَانٌ . قَالَ : « كَذَبْتُمْ ، أَبُوكُمْ فُلَانٌ »
قَالُوا صَدَقْتَ ، وَبَرَزَتْ ، قَالَ « فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ
عَنْهُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ ، كَمَا عَرَفْتُهُ فِي أَبِيْنَا ، قَالَ
لَهُمْ « مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ » قَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا .

قَالَ « اخْسَوْا فِيهَا ، وَاللَّهِ لَانْخَلِفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » قَالَ « هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ « هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ « فَمَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ ؟ » قَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا لَمْ يَضُرَّكَ ، رواه البخاري .

٥٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ : قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِصَاحِبِهِ ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، لَا تَقُلْ نَبِيٌّ ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ ، فَاتَّبَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .

فَقَالَ لَهُمْ « لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَمْشُوا بِبِرِّي إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَا تَسْحَرُوا ، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً ، وَلَا تُولُوا الْأَذْبَارَ يَوْمَ الزَّخْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودُ ، أَنْ تَعْدُوا يَوْمَ السَّبْتِ » فَقَبَّلَا يَدَهُ ، وَرَجَلَهُ ، وَقَالَا : نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ .

فَقَالَ « مَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبَعَانِي ؟ » قَالَا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ ، أَنْ لَا يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ ، تَقْتُلُنَا الْيَهُودُ ، لِلتَّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ .

٥٤ - وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَاةً قَبِلَ نَجْدٍ ، فَأَذْرَكْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَائِلَةِ فِي وَادٍ كَثِيرٍ الْعِصَاهُ ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا .

وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي . يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهُوَ قَائِمٌ

على رأسي، والسيفُ صلتاً في يديه، فقال مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي، قلتُ الله، فشام السيفُ فها هو ذا جالسٌ ثم لم يعرض له وكان ملك قومه، فانصرف حين عفى عنه، فقال لا أكون في قومٍ هم حربٌ لك، متفق عليه.

٥٥ - ومنها إخباره صلى الله عليه وسلم أن الأرضَ أكلت من صحيفة قریش ما فيه ظلم، وقطيعة رجم.

وأبقت ما فيها من أسماء الله تعالى.

ومن حديثها أن قریشاً كتبوا فيما بينهم صحيفةً بأن لا يبيعوا بني هاشم، ولا يبتاعوا منهم، ولا يُناكِحُوهم، ولا يُكلمُوهم، أو يدفَعُوا إليهم مُحَمَّداً ليقتلوه، ودفنوها في الكعبة، فقام أبو طالبٍ ومن معه بحماية النبي صلى الله عليه وسلم، فبقوا محصورين في الشعب سنتين أو ثلاثاً.

قال ابن هشام وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب: يا عم، إن الله قد سلط الأرضَ على صحيفة قریش فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم، والقطيعة، والبُهتان، فقال أريكَ أخبرك بهذا، قال نعم، قال فوالله ما يدخلُ عليك أحدٌ.

ثم خرج إلى قریش فقال يا معشر قریش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهل صحيفتكم، فإن كانت كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً، دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم رضىنا، فتعاهدوا على ذلك.

ثم نظروا فإذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم، فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قریش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

٥٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيَّ يَوْمَ أُحُدٍ بَعْدَ انْجِلَاءِ الْهَيْجَاءِ ، إِنَّ قَرِيشًا لَنْ يُصِيبُوا مِنَّا مِثْلَهَا بَعْدَ هَذَا ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فَإِنَّهُ لَمْ تُصِْبْ قُرَيْشٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أُحُدٍ مَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ .

وَمَا زَالَ أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْلُو عَلَيْهِمْ حَتَّى غَزَاهُمْ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، وَمَحَلِّ قَرَارِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا دَفْعَهُ ، بَلِ اسْتَأْسَرُوا لَهُ رَاغِمِينَ ، فَمَنْ عَلَيْهِمْ فَأَطْلَقَهُمْ مِنْ جِبَالَةِ الْقَتْلِ ، وَأَعْتَقَهُمْ مِنْ رِقِّ الْأَسْرِ ، وَنَادَاهُمْ وَهُمْ مَرْغُوبُونَ « أَخْرِجُوا فَاَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ » وَذَلِكَ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ بِالسَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ .

٥٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قَالَ « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْبَيْلِ ، بِنِ عَبْدِ كِلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَاَنْطَلَقْتُ ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ اسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَانْظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ » فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلْ أَرْجُو ، أَنْ يَخْرَجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٥٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَاءً ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَطَلْحَةُ ، وَسَعِيدُ ، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْكُنْ جِرَاءً ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ ، فَسَكَنَ الْجَبَلُ .

٥٩ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ تَبُوكَ ، فِي أَرْبَعِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا ، إِلَى أَكِيدِرَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ ، مِنْ كِنْدَةَ ، فَقَالَ خَالِدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ لِي بِهِ وَسَطُ بِلَادِ كَلْبٍ ، وَلَئِنَّمَا أَنَا فِي عَدَدِ يَسِيرٍ ، فَقَالَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ، فَتَأْخُذْهُ ، فَخَرَجَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حُصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ صَافِيَةٍ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ ، مَعَ امْرَأَتِهِ ، فَأَقْبَلَتِ الْبَقْرُ ، تَحْكُ بِقُرُونِهَا بَابَ الْحِصْنِ ، فَقَالَ أَكِيدِرَ دَوْمَةَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بَقْرًا جَاءَتْهَا لَيْلًا غَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، لَقَدْ كُنْتُ أَضْمُرُ لَهَا الْخَيْلَ ، إِذَا أَرَدْتُهَا شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَرَكِبَ بِالرُّجَالِ ، وَالْآلَةِ ، فَلَمَّا فَصَلُوا مِنَ الْحِصْنِ ، وَخَيْلُ خَالِدٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، لَا يَضْهَلُ مِنْهَا فَرَسٌ وَلَا يَتَحَرَّكُ ، فَسَاعَةَ فَصَلَ ، أَخَذَتْهُ الْخَيْلُ ، فَاسْتَوْسِرَ أَكِيدِرَ دَوْمَةَ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

يا قَوْمُ فَرَضَ الْهِجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ	والله لم يُنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ
فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ	بِالْإِخْلَاصِ فِي سِرِّهِ وَفِي إِعْلَانِ
حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ	بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ
وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا	لِإِسْوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ لِلَّذِينَ هُمَا لَكَ	لِي وَلَايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَضْلَانِ

وَالسَّمْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ
 حَكِيمٌ لِّلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانٍ
 إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 وَاللَّهُ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ
 دَرَكِ الْأَصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ
 فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ
 مَنْ خُصَّ بِالْعِزِّ وَالْخُذْلَانِ
 كَسَلَانِ مَنْخُوبِ الْفُؤَادِ جَبَانِ
 سَبَقَ السَّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرُّضْوَانِ
 سِيرَ الدَّلِيلِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ
 صِرَ رُؤُوسَهَا شَابَتْ مِنَ النِّيْرَانِ
 لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 بِمَرَاوِدِ الْأَرَاءِ وَالْهَلْبِيَانِ
 لَا عَنْ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيْمَانِ
 أَعْلَامَ طَيْبَةِ رُؤْيَا بَعِيَانِ
 رُسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْإِيمَانِ
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ بَيْنَةَ الرُّضْوَانِ
 أَنْصَارُ أَهْلِ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ
 لَكَ هَدْيِهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ
 حُظُوظِ وَنَصْرَةِ الْإِخْوَانِ
 لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَائِسَ الشَّيْطَانِ

لِلَّهِ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ
 وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَاللَّهِ
 وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بَالٍ
 أَتَرَوْنَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا
 قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي
 أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمُهَا لَا غَيْرُهُ
 يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى
 يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى
 يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ
 سَارُوا أَحَثَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسِيرُهُ
 هَذَا وَتَنْظَرُهُ أَمَامَ الرُّكْبِ
 رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُ
 نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ
 مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا
 فَلِذَاكَ شَمْرٌ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ
 يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمُوا لَرَأَيْتُمْ
 وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ
 أَصْحَابَ بَذَرٍ وَالْأُولَى قَدْ بَايَعُوا
 وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُولَى سَبَقُوا كَذَا
 وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا
 لَكِنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَابْتَلَيْتُمْ بَالٍ
 بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ

وَنَبَذْتُمْ غِلَّ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ
وَتَرَكْتُمُ الْوَحْيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا
وَعَزَلْتُمُ النَّصِيحَيْنِ عَمَّا وَلِيَا
وَزَعَمْتُمْ أَنَّ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا
حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مِثْرًا
وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا
مُبْيَضَّةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةٍ
فَهَنَّاكَ يَعْلمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
وَهَنَّاكَ يَعْلمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْءَاءِ وَاللَّهِ
أَيُّ الْبَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي
سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ
لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا
لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْفَضْلِ
وَسِوَاهُمْ لَا يَصْلَحُونَ لِصَالِحِ
وَعِمَارَةِ الْجَنَاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى
فَسَلِ الْهِدَايَةَ مَنْ أَرَمَهُ أَمْرُنَا
وَسَلِ الْعِيَادَةَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَا
شَرَّ النَّفُوسِ وَسَيِّءِ الْأَعْمَالِ مَا
وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا
لَوْ كَانَ يَذْرِي الْعَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ

وَقَنِعْتُمْ بِقِطَارَةِ الْأَذَانِ
وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ
لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ بِالْمِيزَانِ
لَدَانُ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ
وَسَمَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الدِّيَانِ
وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنَّيِّرَانِ
وَهَنَّاكَ يُقَرِّعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ
مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ
طِحَاتِ وَالْهَذْيَانِ وَالْبُطْلَانِ
مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِ
وَالْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْمِيزَانِ
مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانِ
الْعَظِيمِ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ
كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النِّيْرَانِ
اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةُ الدَّلِيلِ الْعَانِ
نَ بُهْلِكِ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ
وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَانِ
فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُمَا^(١) الشَّرَانِ

(١) في الأصل هو . والصواب هما .

جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى نَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارْزُقْنَا
التَّأَهُبَ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٦٠ - وَمِنْهَا أَخَذَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَا شَغَلَهُمْ عَنْهُ وَأَزَالَ مِنْهُمْ إِيَّاهُ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَهُوَ الْمُشَارُ
إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) .

وَهُمْ خَمْسَةٌ نَفَرٍ مِنْ رُوسَاءِ قُرَيْشٍ ، الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ ،
وَكَانَ رَأْسَهُم ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزِيِّ بْنِ زَمْعَةَ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَعَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ
اغْمِرْ بَصَرَهُ ، وَأَثْكِلْهُ بِوَلَدِهِ » وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعْقُوبَ بْنِ وَهْبٍ ،
وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الطَّلَاطِلَةِ .

فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْتَهْزِؤُونَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ .

فَقَامَ جِبْرِيلُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ
يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا ، فَقَالَ « بِشَسَّ عَبْدُ اللَّهِ » ، فَقَالَ قَدْ كَفَيْتَهُ ،
وَأَوْمَأَ إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُرَاعَةَ نَبَالٍ يَرِيشُ نِبَالَهُ ،
وَعَلَيْهِ بُرْدٌ يَمَانِيٌّ ، وَهُوَ يَجُرُّ أَزَارَهُ ، فَتَعَلَّقَتْ شَطِيبَةٌ مِنْ نَبْلِهِ بِأَزَارِهِ ،

فَمَنَعَهُ الْكَبِيرُ أَنْ يُطَاطِيءَ رَأْسَهُ فَيَنْزِعُهَا وَجَعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ ، فَخَدَشَتْهُ ،
فَمَرَضَ مِنْهَا فَمَاتَ .

وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ،
قَالَ « بِشَسْ عَبْدُ اللَّهِ » ، فَأَشَارَ جَبْرِيلُ إِلَى أَحْمَصِ رِجْلَيْهِ ، وَقَالَ قَدْ
كَفَيْتَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ يَتَنَزَّهُ ، فَنَزَلَ شِعْبًا مِنْ
تِلْكَ الشُّعَابِ ، فَوَطِيءَ عَلَى شُبْرُقَةٍ ، فَدَخَلَتْ مِنْهَا شَوْكَةٌ فِي أَحْمَصِ
رِجْلَيْهِ ، فَقَالَ لُدِغْتُ لُدِغْتُ ، فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا ، وَانْتَفَخَتْ
رِجْلُهُ ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ عُنُقِ الْبَعِيرِ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ .

فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا
يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ « بِشَسْ عَبْدُ اللَّهِ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : قَدْ كَفَيْتَهُ ،
فَعَمِي ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَمَاهُ جَبْرِيلُ بَوَرَقَةٍ خَضْرَاءَ ، فَعَمِيَ فَذَهَبَ
بَصَرُهُ ، وَوَجَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْجِدَارَ ، حَتَّى هَلَكَ .

وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا
يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ « بِشَسْ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ ابْنُ خَالِي » فَقَالَ : قَدْ كَفَيْتَهُ .
وَأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ ، فَاسْتَسْقَى بَطْنُهُ فَمَاتَ ، وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ
فَقَالَ جَبْرِيلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ « عَبْدٌ سُوءٌ » فَأَوْمَأَ إِلَى
رَأْسِهِ ، وَقَالَ قَدْ كَفَيْتَهُ ، فَامْتَحَطَ قَيْنَحًا ، فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ أَكَلَ حُوتًا
مَالِحًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ حَتَّى انْقَدَّ بَطْنُهُ .

٦١ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا رُويَ أَنَّ الْحَطَمَ -
وَاسْمُهُ شُرَيْحُ بْنُ ضَبِيْعَةَ ، الْبَكْرِي - أَتَى الْمَدِينَةَ ، وَخَلَفَ خَيْلَهُ خَارِجَ
الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ وَحْدَهُ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ إِيْلَامَ

تَدْعُو النَّاسَ ، فَقَالَ « إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » .

فَقَالَ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ أَنْظِرْنِي ، فَلَئِنْ أَشَاوَرُهُ ، فَلَا أَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُمْ
وَلَعَلِّي أَسْلِمُ ، وَآتِي بِهِمْ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ
لِأَصْحَابِهِ « يَدْخُلُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ رِبِيعَةٍ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ »
ثُمَّ خَرَجَ شُرَيْحٌ ، مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَقَدْ
دَخَلَ بَوَاجِهُ كَافِرٌ ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ » فَمَرَّ بِسَرْحِ
الْمَدِينَةِ . فَاسْتَأْذَنَهُ ، وَانْطَلَقَ ، فَاتَّبَعُوهُ فَلَمْ يَدْرِكُوهُ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ ، خَرَجَ حَاجًّا ، فِي حُجَّاجٍ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، مِنْ
الْيَمَامَةِ ، وَمَعَهُ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَقَدْ قَلَّدُوا الْهَدْيَ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْحَطْمُ ، قَدْ خَرَجَ حَاجًّا ، فَخَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّهُ قَلَّدَ الْهَدْيَ » فَقَالُوا يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، هَذَا شَيْءٌ كُنَّا نَفْعَلُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَبَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَنَازَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ، وَلَا
الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَلَا الْهَدْيَ) الْآيَةَ .

٦٢ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَوْلُهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ ،
حِينَ أَصْبَحَ « إِنَّ مِنْ آيَةٍ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنِّي مَرَرْتُ بِعَيْرٍ لَكُمْ ، فِي
مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ أَضَلُّوا بِعِيرًا لَهُمْ ، فَجَمَعَهُ لَهُمْ فَلَانٌ ، وَإِنَّ
مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِكَذَا ، ثُمَّ كَذَا ، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، يَقْدُمُهُمْ
جَمَلٌ آدَمٌ ، عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدٌ ، وَغَرَارَتَانِ ، سَوْدَاوَانِ » فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ
الْيَوْمُ ، أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ ، حِينَ كَانَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ ، حَتَّى
أَقْبَلَتِ الْعَيْرُ ، يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ ، الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ .

٦٣ - وَمِنْ ذَلِكَ دَعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَفْرَادٍ مِنَ الْمَشْرِكِينَ أَصْحَابِ الْقَلَيْبِ ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَأَصْحَابُهُ ، جُلُوسٌ وَقَدْ نُجِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ ، فَيَضَعُهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ، فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ .

فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، فَاسْتَضَحَّكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ ، طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى انْطَلَقَ انْسَانٌ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

فَجَاءَتْ وَهِيَ جَوِيرِيَّةٌ ، فَطَرَحْتُهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ . إِذَا دَعَا ، دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا ، فَقَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ، ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحِكُ ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ . وَالْوَلِيدَ بْنَ عَتْبَةَ ، وَأُمِيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ ، وَذَكَرَ السَّابِعَ ، وَلَمْ أَحْفَظْهُ ، فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ . لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ .

ثُمَّ سَجَبُوا إِلَى الْقَلَيْبِ ، (قَلَيْبٍ بَدْر) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَالنَّسَائِي تيسير الوصول ج ٤ ص ٢١٦ .

٦٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ،

قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلَمٍ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ، فَقَالَ هَذِهِ ضَرْبَةُ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَالَ النَّاسُ : أُصِيبَ سَلَمَةُ ، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا أَشْتَكِيهَا حَتَّى السَّاعَةِ .

٦٥ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ الْهِجْرَةَ ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ غَاراً فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، لِيَسْتَخْفِيَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ طَلَبَتْهُ ، وَبَذَلَتْ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ نَاقَةٍ ، فَأَعَانَهُ اللَّهُ بِإِخْفَاءِ أَثَرِهِ ، وَنَسَجَتِ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِ الْغَارِ .

وَلَمَّا خَرَجَ ، لَحِقَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَوَجَّهَ لِطَلَبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا سُرَاقَةُ قَدْ قَرُبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ اكْفِنَا سُرَاقَةَ » فَاخْذَتِ الْأَرْضُ قَوَائِمَ فَرَسِهِ إِلَى ابْطِلَهَا ، فَقَالَ سُرَاقَةُ ، يَا مُحَمَّدُ اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُطْلِقَنِي ، وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ مَنْ جَاءَ يَطْلُبُكَ ، وَلَا أُعِينُ عَلَيْكَ أَبَدًا ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَاطْلِقْ عَنْ فَرَسِهِ » فَاطْلَقَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَسْلَمَ سُرَاقَةُ ، وَحَسُنَ اسْلَامُهُ .

٦٦ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ فِي أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ ، مِنْ أَنَّ أَبَا لَهَبٍ خَرَجَ يَوْمًا ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا عُثْبَةَ ، إِنَّكَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ مِنَّا ، وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ ، هُوَ الْحَاثِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَلَوْ قَتَلْتَهُ لَمْ يُنْكَرْ أَبُو طَالِبٍ ، وَلَا حَمَزَةٌ ، مِنْكَ شَيْئًا ، وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ دَمِهِ ، نُودِي نَحْنُ الدِّيَّةَ ، وَتَسْوَدُ قَوْمَكَ ، فَقَالَ فَإِنِّي أَكْفِيكُمْ . فَفَرَحُوا بِذَلِكَ ، وَمَدَحَتْهُ خُطَبَاؤُهُمْ .

فَلَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مُشْرِفًا عَلَيْهِ ، نَزَلَ أَبُو لَهَبٍ ،

وَهُوَ يُصَلِّي وَتَسَلَّقَتِ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ ، أُمُّ جَمِيلِ الْحَائِطِ ، حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَصَاحَ بِهِ ، أَبُو لَهَبٍ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَهُمَا كَانَا لَا يَنْقُلَانِ أَقْدَامَهُمَا ، وَلَا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ ، حَتَّى تَفَجَّرَ الصُّبْحُ ، وَفَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ يَا مُحَمَّدُ ، أَطْلُقْ عَنَّا ، فَقَالَ « مَا كُنْتُ لِأُطْلِقَ عَنْكُمَا ، أَوْ تَضْمَنَّا لِي أَنْكُمَا لَا تُؤْذِيَانِي » قَالَا : قَدْ فَعَلْنَا ، فَدَعَا رَبَّهُ فَرَجَعَا .

٦٧ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَهُوَ مُعْتَزِلٌ عَنْهُمْ ، رَأَاهُ شَيْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ ، بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، فَقَالَ الْيَوْمَ أَذْرِكُ ثَارِي مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَاقْتَلَهُ ، لِأَنَّ أَبَا شَيْبَةَ قُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي جَمَاعَةِ اخْوَتِهِ وَأَعْمَامِهِ ، قَالَ شَيْبَةُ فَلَمَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ ، أَقْبَلَ شَيْءٌ حَتَّى تَغَشَى فَوَادِي فَلَمْ أَطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

٦٨ - وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أَبِي جَهْلٍ وَحَجَرِهِ ، فَفِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمًا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ ، مِنْ عَيْبِ دِينِنَا ، وَشَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِهِ أَحْلَامِنَا ، وَشَتْمِ آلِهَتِنَا ، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَجْلِسَ لَهُ غَدًا ، بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ ، فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ ، فَاسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ ، أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُ مَنْأَفٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ ، قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَاْمْضِ لِمَا تُرِيدُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يَغْدُو ، فَقَامَ يُصَلِّي . وَقَدْ غَدَتِ قُرَيْشٌ ، فَجَلَسُوا فِي أُنْدِيَّتِهِمْ ،

يَنْتَظِرُونَ ، مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
اِحْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ ، رَجَعَ
مُنْهَرِماً ، مُنْتَقِعاً لَوْنَهُ ، مَرْعُوباً ، قَدْ يَبَسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتَّى قَذَفَ
الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ .

وَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ، قَالَ : قُمْتُ
إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ، عَرَضَ لِي دُونَهُ ،
فَحُلُّ مِنَ الْإِبِلِ ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامِيهِ ، وَلَا قِصْرَتِهِ ، وَلَا أَنْيَابِهِ ،
لِفَحْلٍ قَطُ ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي ، وَرَوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ .

٦٩ - ومنها قِصَّةٌ أُخْرَى مَعَ أَبِي جَهْلٍ فَعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ
أَبُو جَهْلٍ ، هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ
وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، لَتُنَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيُ كَذَلِكَ لَأَطَّانَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَلَأُعْفَرَنَّ
وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ ، فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يُصَلِّيُ لِيَطَّأَ
عَلَى رَقَبَتِهِ ، قَالَ فَمَا فَعَجَاهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ .
قَالَ : فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ، فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهَوَلاً ،
وَأَجْنَحَةً ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ
الْمَلَائِكَةُ عُضُوًا عُضُوًا » قَالَ : فَانْزَلَ اللَّهُ لَا أَذْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
أَمْ لَا (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

٧٠ - وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا يَلِي : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا ، قَالَ يَوْمًا
وَهُوَ جَالِسٌ ، فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ،

وَحَدَّثَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَأَكَلِمُهُ ،
وَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا ، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا بَعْضَهَا فَنُعْطِيَهُ ، وَيَكُفَّ عَنَّا ،
وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةَ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
يَزِيدُونَ ، وَيَكْثُرُونَ .

فَقَالُوا بَلَى ، يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ ، فَقَامَ عُتْبَةُ ، حَتَّى جَلَسَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ
عَلِمْتَ ، مِنَ الْبَسْطَةِ ، فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ
قَوْمَكَ ، بِأَمْرِ عَظِيمٍ ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَيْتَ آلَهُتَهُمْ ،
وَكَفَرْتَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي ، أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ
فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ) .

فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَرَفًا ، سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ
كُنْتَ تُرِيدُ مَالًا بِمَا جِئْتَ بِهِ ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا ، حَتَّى تَكُونَ
أَكْثَرُنَا مَالًا ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِكَ رِئْيًا ، لَا نَسْتَطِيعُ رَدَّهُ ، طَلَبْنَا لَكَ
الطِّبَّ ، وَلَعَلَّ هَذَا شِعْرٌ جَاشَ بِصَدْرِكَ ، فَإِنَّا لَعَمْرِي ، بَنِي الْمَطْلَبِ ،
تَقْدُرُونَ مِنْ ذَلِكَ مَالًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُكُمْ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مَا عِنْدَهُ ، مِنْ
سَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّهَا تَرُدُّهُ عَمَّا يَقُولُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَوْقَدْ فَرَّغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ » قَالَ نَعَمْ .

قَالَ « فَاسْتَمِعْ مِنِّي » قَالَ فَافْعَلْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ثُمَّ مَضَى فِيهَا يَقْرَأُ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ ،
أَنْصَتَ لَهُ ، وَالتَّقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، مُعْتَمِدًا عَلَيْهَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، حَتَّى

انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَالَ « قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَأَنْتَ وَذَلِكَ » فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَخْلِفُ بِاللَّهِ ، لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ ، بَغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ .

فَلَمَّا جَلَسَ فِيهِمْ قَالُوا مَا وَرَاءَكَ ، يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقَالَ وَرَأَيْتُ لِي سَمِعْتُ قَوْلًا ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ، قَطُّ ، مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، وَلَا السَّحْرِ ، وَلَا الْكِهَانَةِ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي ، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ ، وَاعْتَزِلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا ، فَإِنْ تُصِيبُهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ ، عَلَى الْعَرَبِ ، فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ ، فَقَالُوا سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ فَقَالَ هَذَا رَأْيِي لَكُمْ فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

٧١ - ومنها ما رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّ ابْنَ بَنِيهِ فَاطِمَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يُقْتَلُ بِالْعِرَاقِ فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ فَقَتِلَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كَرْبَلَاءَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَلَهُ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَسِتَّةُ أَشْهُرٍ وَنِصْفُ الشَّهْرِ .

٧٢ - ومنها دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِدُعَائِهِ ، فَعَنْ أَنْسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنْسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ آزَرْتَنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا ، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَنْسُ ، ابْنِي أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ ، وَوَلَدَهُ » .

قال أنس ، فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي كَثِيرٌ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ الْيَوْمَ ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وَعَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ

قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ ، سَمِعَ أَنَسٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَدَعَا لَهُ ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ فِي السَّنَةِ الْفَاكِهَةَ مَرَّتَيْنِ ، وَكَانَ ، فِيهِ رَيْحَانٌ ، يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ

٧٣ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَقْتَلِ الْقُرَاءِ ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ ، يَتَعَلَّمُونَ .

وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُونَ ، فَيَسْبِغُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَةِ ، وَلِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا .

قَالَ : وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا ، خَالَ أَنَسٍ ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَالَ حَرَامٌ ، فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ « إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ ، وَرَضِيتَ عَنَّا » .

٧٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَلَا (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قَالَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، كَفَرْتُ بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ » يَعْنِي الْأَسَدَ ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فِي غَيْرِ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي طَرِيقِهِمْ ، زَارَ الْأَسَدُ ، فَجَعَلَتْ فَرَائِصُ عُتْبَةَ تَرْتَعِدُ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَرْتَعِدُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَخُنُ وَأَنْتَ إِلَّا سَوَاءٌ ، فَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا دَعَا عَلِيًّا ، وَمَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ ، وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ لَهْجَةً .

فَوَضَعُوا الْعِشَاءَ ، فَلَمْ يَدْخُلْ يَدُهُ فِيهِ ، وَخَاطَ الْقَوْمُ أَنْفُسَهُمْ بِمَتَاعِهِمْ وَجَعَلُوا عُتْبَةَ وَسَطَهُمْ ، وَنَامُوا ، فَجَاءَ الْأَسَدُ يَشُمُّ رُؤُوسَهُمْ ، رَجُلًا رَجُلًا ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُتْبَةَ ، فَهَشَمَهُ هَشْمَةً أَوْصَلَتْهُ إِلَى آخِرِ رَمَقٍ ، فَقَالَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ ، أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ مُحَمَّدًا أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً .

٧٥ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمَهُ التَّائِيلَ » فَخَرَجَ أَفْقَهُ النَّاسُ فِي الدِّينِ ، وَأَعْلَمَهُمُ بِالتَّائِيلِ ، حَتَّى سُمِّيَ الْبَحْرَ ، لِسَعَةِ عِلْمِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٧٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أَقْبَلَتْ وَبَلَغَتْ مِائَةَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا ، نَبَحَتْ الْكِلَابُ ، فَقَالَتْ أَيُّ مَاءٍ هَذَا ، قَالُوا مَاءُ الْحَوَآبِ ، قَالَتْ مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ ، قَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا بَلَّ تَقْدُمِينَ ، فَيَرَاكَ الْمُسْلِمُونَ ، فَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ ، قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ « كَيْفَ بِلَاخْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَآبِ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْتَ شِعْرِي ، إِيْتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْمُدَبِّبِ ، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَآبِ ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ ، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ » رَوَاهُ الْبَزَارُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتُ كُلِّ ذَلِكَ يَقَعُ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٧٧ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَرَامٍ عَنْ غَزْوِهَا فِي الْبَحْرِ وَعُلُو مَكَانَتِهَا فِيهِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فُتُطِعِمُهُ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ .

فَدَخَلَ يَوْمًا فَاطْعَمْتَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِيرَةِ - أَوْ قَالَ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ » شَكَ إِسْحَاقُ ، قَالَتْ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ قُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ » كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلَى ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ « أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ » فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧٨ - وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ عَنْ أَوَّلِ زَوْجَاتِهِ لِحُوقًا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا ، قَالَ أَطْوَلُكُنَّ يَدًا ، فَأَخَذْنَ قَصَبَةً يَذْرَعْنَهَا فَكَانَتْ سَوْدَةً أَطْوَلُهَا يَدًا ، فَعَلِمْنَا بَعْدُ إِنَّمَا كَانَ طُولُ يَدِهَا الصَّدَقَةِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وَكَانَتْ أَسْرَعُنَا لِحُوقًا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ .

٨٠ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِلَ كِسْرَى مَلِكِ
الْفُرسِ عَلَى الْيَمَنِ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا مِنْ
شَهْرِ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ بِأَذَانٍ
أَنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فُسِرَ إِلَيْهِ
فَاسْتَتَبَهُ فَإِنْ تَابَ وَالَا فَأَبْعَثْ إِلَى بَرَأْسِهِ .

فَبَعَثَ بِأَذَانٍ بِكِتَابِ كِسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ
يُقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا » فَلَمَّا أَتَى بِأَذَانٍ
كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَقَّفَ ، لِيَنْظُرَ ، وَقَالَ إِنْ كَانَ
نَبِيًّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ ، فَقُتِلَ كِسْرَى ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُتِلَ عَلَى يَدِ ابْنِهِ ، شَيْرَوَيْه .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بِأَذَانٍ بَعَثَ بِاسْلَامِيهِ ، وَاسْلَامَ مَنْ مَعَهُ ، مِنْ الْفُرسِ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتِ الرُّسُلُ مِنَ الْفُرسِ ، إِلَى مَنْ
نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ « أَنْتُمْ مِنَّا وَإِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

٨١ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ
عَدَا الذَّنْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَاَنْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَأَقْعَى الذَّنْبُ
عَلَى ذَنْبِهِ ، فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَأَقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ
يَا عَجَبِي ذَنْبٌ يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ ، فَقَالَ الذَّنْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ
مِنْ ذَلِكَ ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَثْرِبَ ، يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ
سَبَقَ ، قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَزَوَّاهَا
إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي أخبرهم ، فأخبرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق ، والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة ، حتى يكلم الرجل رجل عذبة سوطه ، وشراك نعليه ، ويخبره فخذة ، بما أخذت أهله بعده » .

قال ابن كثير وهذا اسناد على شرط مسلم ، وقد صححه البيهقي ، ولم يروه إلا الترمذي من قوله : والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس إلى آخره .

٨٢ - ومن ذلك توقيته صلى الله عليه وسلم مواقيت الحج المكانية وذلك أنه عينها من قبل فتح بلدانها قال الناظم :

وإحرام حج من مواقيت خمسة	لطيفة وقت ذا الحليفة واقصد
وللشام والمصري والغرب جحفة	وليمن التالي يللم فارصد
وخذ ذات عرق للعراق ووفده	وقرناً لوفد طائفي ومنجد
وتعينها من معجزات نبينا	لتعينه من قبل فتح المعدد

٨٣ - ومن ذلك إنذاره صلى الله عليه وسلم بريح شديدة في تبوك ، وطلب من أصحابه أن يأخذوا جذرهم ، ففي صحيح مسلم عن أبي حميد ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، فأتينا وادي القرى ، على حديقة لامرأة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها ، فخرصناها ، وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق ، وقال : أحصيناها ، حتى نرجع إليك إن شاء الله ، وانطلقنا ، حتى قدمنا تبوك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستهب ربح حتى

شَدِيدَةً « فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ إِلَى أَنْ أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طِيءٍ ، وَجَاءَ رَسُولُ صَاحِبِ إِبِلَةٍ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا ، وَادِي الْقُرَى ، فَسَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرَأَةَ ، عَنِ حَدِيثِهَا كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا ، فَقَالَتْ عَشْرَةُ أَوْسُقٍ ، تَمَامًا كَمَا أَخْبَرَ .

٨٤ - وَمِنْ ذَلِكَ أَخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَّأَتِي زَمَانٌ تَرْتَحِلُ فِيهِ الظُّعَيْنَةُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، لَاتَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَوَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ .

ففي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال : بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجلٌ ، فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخرٌ فشكا قطع السبيل ، فقال « يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ ؟ » قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا ، وَقَدْ أَنْبِئْتُ عَنْهَا . قَالَ « فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيْنَ الظُّعَيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، لَاتَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ » قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دِعَارُ طِيءٍ - أَيِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ - الَّذِينَ سَعَرُوا الْبِلَادَ - « وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى » قُلْتُ كِسْرَى ابْنُ هُرْمَزٍ ، قَالَ « كِسْرَى ابْنُ هُرْمَزٍ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ إِبِلَهُ كَفَّهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

وَلَيَلْقَيْنَ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجَمُ لَهُ فَيَقُولَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ ، فَيَقُولُ بَلَى : فَيَقُولُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا ، فَيَقُولُ بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ » قَالَ عَدِيُّ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى

اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَيَكَلِمَةً طَيِّبَةً » .

وقال عَدِيُّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَكُنْتُ فَيَمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمَزٍ ، وَلَكِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرَوْنَ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلًّا كَفَّهُ » .

٨٥ - وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّايِغَةِ الْجَعْدِي ، بِقَوْلِهِ لَهُ « لَا يُفْضِضُ اللَّهُ فَالَكَ » فَعُمِّرَ ، وَكَانَ أَحْسَنُ النَّاسِ ثَغْرًا ، كُلَّمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّةٌ ، نَبَتَتْ لَهُ أُخْرَى .

٨٦ - وَمِنْ ذَلِكَ سَقُوطُ الْأَصْنَامِ ، بِإِشَارَةٍ مِنْ قَضِيبٍ ، كَانَ فِي يَدِهِ فَإِنَّهُ كَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ، أَرْجُلُهَا مُثَبَّتَةٌ بِالرِّصَاصِ ، فِي الْحِجَارَةِ تَشْبِيهًُا مُحْكَمًا ، فَلَمَّا دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، إِلَى تِلْكَ الْأَصْنَامِ فَوَقَعَتْ لِوُجُوهِهَا ، وَظُهُورِهَا ، حَسَبَ إِشَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا فَرَجَعَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ ، مِنْ أَجْلِ مَكَانِ الرَّجُلِ ، فَلَقِيَ الْعَبَّاسَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ « وَرَأَاهُ ؟ » قَالَ نَعَمْ « قَالَ أَتَدْرِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ ؟ » ذَاكَ جَبْرِيلُ .

« وَلَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصَرُهُ ، وَيُوتَى عِلْمًا » وَقَدْ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ سَنَةً ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ، بَعْدَ مَا عَمِيَ بَصَرُهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَارَ بَحْرًا زَاخِرًا فِي الْعِلْمِ .

٨٨ - ومن ذلك ما رواه البيهقي عن خِمَارَةَ عن أَنَسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، عن أَبِيهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى زَيْدٍ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ كَانَ بِهِ ، قَالَ « لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ بَأْسٌ ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِكَ إِذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي ، فَعَمِيتَ ؟ » قَالَ : إِذَا اخْتَسَبْتُ وَأَصْبِرُ ، قَالَ : « إِذَا تَدَخَّلَ الْجَنَّةَ ، بِغَيْرِ حِسَابٍ » قَالَ فَعَمِي بَعْدَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ، ثُمَّ مَاتَ .

٨٩ - ومن ذلك إخبارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مِخْنَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ففي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ .

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » عَلَى بَلَوَى تُصِيبُهُ « فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

٩٠ - ومن ذلك ما وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ، فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوِهِ ، فَعَجَنَ ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيلٌ يَغْنَمُ يَسُوقُهَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَيْعًا ، أَمْ هِبَةً ؟ » قَالَ بَلْ بَيْعٌ ، فَاشْتَرَى مِنْهَا شَاةً ، فَصْنَعْتُ ،

فَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشَوَّى ، وَإِنَّهُمُ اللَّهُ ، مَا فِي
الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ ، رَجُلٌ إِلَّا قَدْ خُزَّ لَهُ حَزَّةٌ مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إِنْ كَانَ شَاهِدًا
أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ فَجَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ
وَشَبِعْنَا فَقَضَلْتُ الْقِصْعَتَانِ فَحُمِلَتَا عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

٩١ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ سَمُرَةَ ، قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَدَاوُلُ مِنْ قِصْعَةٍ ، مِنْ غَذْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ، تَقُومُ عَشْرَةٌ ، وَتَقَعُدُ
عَشْرَةٌ فَقُلْنَا فِيمَا كَانَتْ تُمَدُّ ، قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ ، مَا كَانَتْ تُمَدُّ
إِلَّا مِنْ هَاهُنَا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

٩٢ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَابِرٌ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ
رَجُلٌ يَسْتَطْعِمُهُ ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ ،
وَأَمْرَأَتُهُ ، وَضَيْفُهُمَا ، حَتَّى كَالَهُ فَفَنِي ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : « لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ ، وَلَقَامَ لَكُمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٩٣ - وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُضَرَ ، وَإِمْسَاكَ الْقَطْرِ
عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوهُ ، وَآذَوْهُ ، فِي نَفْسِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، دَعَا عَلَيْهِمْ
فَقَالَ « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأتَكَ عَلَى مُضَرَ وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِينِي يُوسِفَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَأَمْسِكَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ ، حَتَّى جَفَّ النَّبَاتُ ، وَالشَّجَرُ ،
وَمَاتَتِ الْمَاشِيَةُ ، وَحَتَّى اشْتَوَوْا الْقِدَّ ، وَأَكَلُوا الْعُلْهَرَ ، وَتَفَرَّقُوا فِي
الْبِلَادِ ، لَشِدَّةِ الْحَالِ .

فَوَفَدَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، إِلَى كِسْرَى فَشَكَا إِلَيْهِ مَا نَالَهُمْ ، وَسَأَلَهُ
أَنْ يَأْذُنَ لَهُ فِي الرَّغْمِ ، بِالسَّوَادِ ، وَرَهْنَهُ قَوْسَهُ .
وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ ، يَسُوقُهَا أَهْلُ التَّفْسِيرِ ، عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :
(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

يا قاعِداً سارتْ به أنفاسُهُ
 حتّى متى هَذَا الرُّقادُ وَقَدْ سَرَى
 وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى
 رَكِبُوا العَزَائِمَ واعْتَلَوْا بظُهُورِهَا
 سَارُوا رُويَداً ثُمَّ جَاؤُوا أَوَّلًا
 سَارُوا بِإثباتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا
 عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فامْتَلَأَتْ قُلُوبُ
 فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْـ
 وَأَشَدُّهُمْ حُبًّا لَهُ أَذْرَاهُمُـوا
 فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسَبِهِ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هُمُ الْـ
 وَلِذَاكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا
 وَحَيَاةُ قَلْبِ الْمَرْءِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَكُونُ
 ذِكْرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ
 مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا
 أَيْحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ
 لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْ

سَيَّرَ الْبَرِيدَ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 وَقَدْ الْمَحَبَّةَ مَعَ أُولَى الْإِحْسَانِ
 لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَضْعَانِ
 وَسَرَوْا فَمَا حَنُّوا إِلَى نُعْمَانَ
 سَيَّرَ الدَّلِيلُ يَوْمُ بِالرُّكْبَانِ
 التَّعْطِيلِ وَالتَّخْرِيفِ وَالنُّكْرَانِ
 بِهِمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
 أَشْوَاقٍ إِذْ مُلِئَتْ مِنَ الْعِرْفَانِ
 بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
 يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ ذُو تَبْيَانِ
 أَحْبَابُهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
 أَحْبَابُهُ وَبِشْرَعَةِ الْإِيمَانِ
 أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّنَّانِ
 بُغْضَاءُهُ حَقًّا ذَوِي شَنْئَانِ
 يُرْزَقُهُمَا يَخِي مَلَدَى الْأَزْمَانِ
 نُ الْحَيُّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
 إِشْرَاكِ بِهِ وَهُمَا فَمُتَنِعَانِ
 عِ الطَّائِرِ الْمُقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ
 وَعُلُوِّهِ وَكَلَامُهُ بِقُرْآنِ
 مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ
 تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلا حُسْبَانِ

وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا
 اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُ
 وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي الْ
 حَمْدُ لِيَذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَّالَهُ
 يَا مَنْ تَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ
 وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا بَيْنَهُمَا
 وَيَرُونَ مَيْدَانِ التَّسَابُقِ بَارِزًا
 وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ
 وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللِّقَا
 مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبَ
 هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّوَالِ وَهَيُّوْا
 وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَيْسَ يُنْجِيكُمْ سِوَى
 تَجْرِيدُكُمْ تَوْحِيدُهُ سُبْحَانَهُ
 وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ أَتْبَاعِ رَسُولِهِ
 وَاللَّهُ مَا يُنْجِي الْفَقِيَّ مِنْ رَبِّهِ
 يَارَبُّ جَرَّدُ عَبْدِكَ الْمِسْكِينِ رَا
 لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا
 وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيعِ
 فَالْعَبْدُ لَيْسَ يَضِيغُ بَسِينِ خَوَاتِمِ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ
 وَالضَّعْفُ مُسْتَوَلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ
 يَارَبُّ مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ

إِخْدَى الْأَثَا فِي خُصِّ بِالْحِرْمَانِ
 ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانِ
 أَوْلَى فِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ
 وَكَذَلِكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَيَرُونَ غَبْنًا بَيْنَهُمَا يَهْوَانِ
 فِي لَأْسِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانِ
 فَيَتَارَكُونَ تَقَحَّمِ الْمَيْدَانِ
 قَدْ أُخْصِيَتْ بِالْعَدِ وَالْحُسْبَانِ
 اللَّهُ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
 ثُمَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 أَيْضًا صَوَابًا لِلْجَوَابِ يُدَانِ
 تَجْرِيدُكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 عَنْ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
 عَنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْهَذْيَانِ
 شَيْءٌ سِوَى هَذَا بَلَاءٌ رَوَّغَانِ
 جِي الْفَضْلَ مِنْكَ أَضْعَفَ الْعُبْدَانِ
 يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ
 لِي وَبِالْتَّنَاءِ مِنَ الْجَهْلِ الْجَانِي
 وَفَوَاتِحِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْعِرْفَانِ
 مِنْ تَرْبَةٍ هِيَ أَضْعَفُ الْأَرْكَانِ
 حِ جِهَاتِنَا سَيِّمَا مِنَ الْإِيمَانِ
 قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِصْيَانِ

لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهَا وَغَرَّهَا هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانٍ
فَتَيَقَّنَتْ يَا رَبِّ أَنَّكَ وَاسِعٌ أَلْ وَسِعَتْ إِلَى الْأَبْوَانِ رَحْمَتُكَ الَّتِي
هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا وَحَلُّوْمُنَا فِي جَنْبِ جِلْمِهَا لَدَى الْمِيزَانِ
جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِشٌ لُهُمَّا وَأَعْدَانَا بِلَا حُسْبَانٍ
وَمَقَالِنَا مَا قَالَه الْأَبْوَانِ قَبْلَ لَ مَقَالَةِ الْعَبْدِ الظَّلُومِ الْجَانِ
نَحْنُ الْأُولَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرَا ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانٍ
يَا رَبِّ فَانصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لَيْدِ سَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْرَ إِيْمَانِنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ جَاعِلِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَامْنُنْ عَلَيْنَا
بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَادْخُلْنَا
بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ وَجُودِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاجْعَلْنَا مَعَ عِبَادِكَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ
رِضْوَانِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٤ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِخْنَةِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَتَدَاْعِي الْأُمَمِ عَلَيْهِمْ ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « يُؤْتِيكَ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاْعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاْعِي
الْأَكَلَةَ إِلَى قَصْعَتِهَا » فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : « بَلْ أَنْتُمْ
يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ
عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ » فَقَالَ قَائِلٌ :

يارسولَ اللهِ وما الوهنُ ؟ قال « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ » وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده .

٩٥ - ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم باتساعِ مُلْكِ المُسْلِمِينَ وفوزِهِمْ بِكُنُوزِ كِسْرَى وقِيَصِرِ واضْطِرَابِ أَمْرِ المُسْلِمِينَ فِي النِّهَايَةِ .

ففي صحيح مسلمٍ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَنْبِحَ بَيْضَتَهُمْ .

وإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَنْبِحُ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ، أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَغْضُهُمْ يُهْلِكُ بَغْضًا ، وَيَسْبِي بَغْضُهُمْ بَغْضًا .

٩٦ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَجُلٌ نَضْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَادَ نَضْرَانِيًّا ، فَكَانَ يَقُولُ : مَا يَذَرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا ، فَأَلْقَوْهُ ، فَحَضَرُوا لَهُ ، فَأَعْمَقُوا ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ ، وَأَصْحَابِهِ ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ ،

خَارِجَ الْقَبْرِ فَحَفَرُوا وَأَعَمَّقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ ، مَا اسْتَطَاعُوا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ .

٩٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْعُنِي وَأَنَا حَدَّثُ السَّنَّ لَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ قَالَ « انْطَلِقْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ » قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَا شَكَّكْتُ فِي قَضَاءِ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلِلَّذِي قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » .

٩٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي شَهْمٍ وَكَانَ رَجُلًا بَطَالًا فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَةٌ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى خَاصِرَتِهَا قَالَ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَدِ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ فَقَبَضَ يَدَهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَصَاحِبُ الْجَبْنَةِ أَمْسُ ؟ » قَالَ فَقُلْتُ لَا أَعُودُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَتَنَعَمْ إِذَا » الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

٩٩ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدٍ مِنِّي ، فَاتَّاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَرَجُلٌ مِنَ ثَقِيفٍ ، فَسَلَّمَا ، ثُمَّ قَالَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَا نَسْأَلُكَ ، فَقَالَ « إِنْ شِئْتُمَا أَخْبِرْتُكُمَا ، بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ ، وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ » فَقَالَا أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ الثَّقَفِيُّ لِلْأَنْصَارِيِّ ، سَلْ ، فَقَالَ أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ « جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَوْمُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رَكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، وَمَا لَكَ فِيهَا ، وَعَنْ طَوَافِكَ

بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ وَقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ رَمِيكَ الْجِمَارَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، وَعَنْ نَحْرِكَ ، وَمَا لَكَ فِيهِ ، مَعَ الْإِفَاضَةِ » فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنَ هَذَا جِثْتُ ، أَسَأَلُكَ .

قَالَ « فَإِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَوُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، لَا تَضَعُ نَاقَتَكَ خُفًا ، وَلَا تَرْفَعُهُ ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ حَسَنَةً ، وَمَعَ عَنكَ خَطِيئَةٌ ، وَأَمَّا رَكَعَتَاكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، كَعَتَيِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصُّفَا وَالْمَرْوَةِ ، كَعَتَيِ سَبْعِينَ رَقَبَةً ، وَأَمَّا وَقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُ عِبَادِي جَاؤُنِي شُعْنًا ، مَنْ كُلُّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ جَنَّتِي فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ ، لَغَفَرْتُهَا ، أَفِيضُوا عِبَادِي ، مَغْفُورًا لَكُمْ ، وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ .

وَأَمَّا رَمِيكَ الْجِمَارَ ، فَلَكَ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا ، تَكْفِيرٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمُؤْبَقَاتِ ، وَأَمَّا نَحْرُكَ فَمَذْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا حِلَاقُكَ رَأْسَكَ فَلَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَلَقْتَهَا حَسَنَةً ، وَيُمَحَى عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَطُوفُ وَلَا ذَنْبَ لَكَ ، يَأْتِي مَلَكٌ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ ، فَيَقُولُ اْعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْبَزَارُ وَاللَّفْظُ لَهُ وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

١٠٠ - وَمِنْهَا اخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقْتَلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَّ قَاتِلَهُ يُخَضَّبُ لِحْيَةَ عَلِيٍّ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ ، فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ ابْنُ فَضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِي عَائِدًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ ثَقُلَ مِنْهُ ، قَالَ فَقَالَ لَهُ

أَبِي مَا يُقِيمُكَ بِمَنْزِلِكَ هَذَا لَوْ أَصَابَ أَجْلُكَ إِلَّا أَعْرَابُ جُهَيْنَةَ ،
تُحْمَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَإِنْ أَصَابَكَ أَجْلُكَ وَلَيْكَ أَصْحَابُكَ ، وَصَلُّوا عَلَيْكَ .

فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ لَا أَمُوتَ حَتَّى
أُؤَمَّرَ ، ثُمَّ تَخَضَّبُ هَذِهِ ، - يَعْنِي لِحْيَتَهُ - مِنْ دَمِ هَذِهِ - يَعْنِي هَامَتَهُ ، وَعَنْ
عُثْمَانَ بْنِ صُهِيبٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ قَالَ عَلِيٌّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ ؟ » قُلْتُ : لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « الَّذِي
يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ - وَأَشَارَ عَلِيٌّ إِلَى يَافُوخِهِ بِيَدِهِ - فَيَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ »
يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ ، قَالَ : فَكَانَ يَقُولُ وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ أَنْبَعَثَ
أَشْقَاكُمْ .

وَقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ
سنة ٤٠ هـ ، عِنْدَمَا خَرَجَ يُوقِظُ النَّاسَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ
بِالسَّيْفِ عَلَى قَرْنِهِ ، فَسَالَ دَمُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ،
فَوَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠١ - وَمِنْهَا إِجَابَةُ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، فِي
تَحْيِيهِهِ إِلَى النَّاسِ وَأُمِّهِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ،
وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي أَوْ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي ، قَالَ إِنَّ أُمَّيْ
كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً ، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ تَأْتِي
عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ .

فَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
لِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا
الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فَبَيْنَكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ،

فقال « اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ » فَخَرَجَتْ أَعْدُو أَبَشْرُهَا ، بِدِعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٍ ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةً ، (خَشْخَشَةً) وَسَمِعْتُ خَشْفَ رِجْلٍ - يَغْنِي وَقَعَهَا ، فَقَالَتْ يَا أَبَاهُ رَيْرَةَ كَمَا أَنْتَ ، ثُمَّ فَتَحَتِ الْبَابَ ، وَقَدْ لَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجَلَتْ عَنْ خِمَارِهَا أَنْ تَلْبَسَهُ ، وَقَالَتْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ ، كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْحُزَنِ . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِرْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاكَ ، قَدْ هَدَى اللَّهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

فقال « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْهُمَا إِلَيْهِمَا » قال أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي أَوْ يَرِي أُمِّي إِلَّا وَهُوَ يُحَبِّبُنِي

١٠٢ - وَمِنْهَا قِصَّةٌ أُخْرَى ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَهِيَ مَا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ فَقَالَ « ابْسُطْ رِدَاعَكَ » ، فَبَسَطْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » ، فَضَمَمْتُهُ ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ ، رواه البخاري .

وقال الامامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَاهُ رَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ الْمُوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُسْكِنًا ، أَصْحَبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي ،

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغُلُهُمُ الصَّفْقُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْغُلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ . فَحَضَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَجْلِسًا ، فَقَالَ « مَنْ بَسَطَ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيَّ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي » فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ ، حَتَّى قَضَى مَقَالَتَهُ ، ثُمَّ قَبَضْتُهَا إِلَيَّ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدًى مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٣ - وَمِنْهَا إِبْرَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ ابْنُ فَاطِمَةَ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِمُصَالَحَةِ الْحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً .

١٠٤ - وَمِنْهَا إِبْرَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ تَقَتَّلَهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، وَيَكُونُ آخِرُ زَادِهِ ضِيَا حًا مِنْ لَبَنِ ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ بِصَفَيْنَ ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ آخِرُ زَادِهِ مِنَ الدُّنْيَا ضِيَا حًا مِنْ لَبَنِ (وَالضِّيَا حُ) اللَّبَنُ الْخَائِرُ يُصَبُّ فِيهِ الْمَاءُ ثُمَّ يُخْبَطُ .

١٠٥ - وَمِنْهَا إِبْرَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، وَهُمْ يَخْفِرُونَ الْخَنْدَقَ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ الْيَمْنَ وَالشَّامَ وَالْمَغْرِبَ وَالْمَشْرِقَ ، فَفِي

السَّيْرِ وَالتَّفَاسِيرِ عَنْ سَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ فَغَلُظْتُ عَلَيَّ صَخْرَةٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبٌ مِنِّي .
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَضْرِبُ ، وَرَأَى شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ مِنْ يَدَيَّ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ بَرْقَةٌ ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قَالَ قُلْتُ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ قَالَ « أَوْ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ » قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ أَمَّا الْأَوَّلُ ، فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمَنَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ عَلَى التَّفْصِيلِ ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا فُتِحَ مِنَ الْبُلْدَانِ الْمَذْكُورَةِ الْيَمَنُ . فُتِحَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُتِحَتْ بَعْدَهَا الشَّامُ وَالْمَغْرِبُ ، وَفُتِحَ بَعْدَ الشَّامِ الْمَشْرِقُ ، فِي مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٠٦ - وَمِنْهَا قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَعَنَهُ رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَغْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ قَالَ ، فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ ، فَقَالَ « بَغْنِيهِ بِأَوْقِيَّةٍ » قُلْتُ : لَا . ثُمَّ قَالَ « بَغْنِيهِ » فَبِعْتُهُ بِأَوْقِيَّةٍ ، وَاشْتَرَطْتُ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي ، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، فَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي ، فَقَالَ « أَتَرَانِي مَا كَسْتُكَ لَأُخَذَ جَمَلُكَ ، خُذْ جَمَلُكَ وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ » متفق عليه .

١٠٧ - وَمِنْ ذَلِكَ لِإِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَمَّا وَقَعَ لِحُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَقَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ، جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَّةِ ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذِيلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ .

فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ ، فَاقْتَفَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ التَّمَرُ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ ، فَقَالُوا تَمَرٌ يَثْرِبُ ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ ، لَجَّئُوا إِلَى مَوْضِعٍ ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ بِنُ ثَابِتٍ : أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ .

ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالْأَنْبِلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا ، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ ، عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ حُبَيْبٌ ، وَزَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَلَمَّا اسْتَمَكُّنَا مِنْهُمْ ، أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ ، هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللَّهُ لَا أَصْحَبُكُمْ ، إِنَّ لِي بِهِؤْلَاءِ ، أَسُوءَ ، يُرِيدُ الْقَتْلَ ، فَجَرَرُوهُ ، وَعَالَجُوهُ ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ .

فَانْطَلَقُوا بِحُبَيْبِ بْنِ الدِّثْنَةِ ، حَتَّى بَاعَوْهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلٍ حُبَيْبًا ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ حُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا ، حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسًا ، يَسْتَحِدُّ بِهَا ،

فَأَعَارَتْهُ ، فَدَرَجَ بَنِي لَهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَحْذِهِ ، وَالْمَوْسَ بِيَدِهِ .

قَالَتْ فَفَزَعْتُ فِرْعَانَ عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ، مَا كُنْتُ لَأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَتْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ بِالْحَدِيدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقُ رَزَقِهِ اللَّهُ خُبَيْبًا .

فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ دَعُونِي أَصِلِّي رَكَعَتَيْنِ ، فَتَرَكَوهُ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، فَقَالَ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَرِدْتُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا . وَلَا تَبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَرَوَةَ ، عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ الَّذِي سَنََّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ ، حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ ، أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ ، يُعْرِفُ ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبَرِ فَحَمَتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا ، وَالشَّاهِدُ فِي إِخْبَارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا .

١٠٨ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ خَيْبَرَ .

ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَقَالَ «أَيُّنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟» فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

١٠٩ - وَمِنْ ذَلِكَ نَعْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا ، وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِي خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ» يَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

١١٠ - وَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ، قَالَ رُمِيتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَفُتِقَتْ عَيْنِي ، فَبَصَقَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا لِي ، فَمَا آذَانِي مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدُ .

١١١ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى مَرَّةً ، فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ التَّمَرَ فِي الْمَرَايِدِ .

فقال « اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُريَانَا فَيَشُدَّ مِرْبَدَهُ بِإِزَارِهِ ،
فَأَمْطَرَتْ فَاجْتَمَعُوا إِلَى أَبِي لُبَابَةَ فَقَالُوا إِنَّهَا لَنْ تُقْلِعَ حَتَّى تَقُومَ عُريَانَا
فَتَشُدَّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِكَ بِإِزَارِكَ فَفَعَلَ فَأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ .

١١٢ - ومنها قِتَالُ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي
الصَّحِيحِينَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ ، كَأَشَدَّ
الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتَهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ .

١١٣ - ومنها مَا وَرَدَ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُدَ ، فَنَظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ يَأْتِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطُهَا ، كُلُّ ذَلِكَ يُصَرِّفُ عَنْهُ .

١١٤ - وَمِنْهَا دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ ،
وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِدَعْوَتِهِ ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ لِأَبِي طَلْحَةَ
ابْنِ يَشْتَكِي فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَبِضَ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ
قَالَ مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ ، هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ،
فَقَرَّبْتُ لَهُ الْعِشَاءَ ، فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارَوْا
الصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ،
فَقَالَ أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا » فَوَلَدَتْ غُلَامًا ،
فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ ، أَحْمِلْهُ ، حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ ، فَقَالَ « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، تَمَرَاتٌ ،
فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ ،

فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ، ثُمَّ حَنَكُهُ ، وَسَمَّاهُ ، عَبْدُ اللَّهِ ، وَفِي رَوَايَةٍ
لِلْبَخَارِيِّ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ ،
كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ ، يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَلَّدِ .

١١٥ - وَمِنْ ذَلِكَ الْكُذِبَةُ ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ ، الَّتِي لَا تَعْمَلُ فِيهَا
الْمَعَاوِلُ ، فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ،
فَتَفَلَّ فِيهِ ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ ، ثُمَّ نَضَحَ الْمَاءَ عَلَى تِلْكَ
الْكُذِبَةِ ، فَيَقُولُ مَنْ حَضَرَهَا ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَأَنْهَالَتْ ،
حَتَّى عَادَتْ كَالْكَثِيبِ ، لَا تَرْدُ فُاسًا ، وَلَا مِسْحَاةً .

١١٦ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَلَمَّا كَانَ قُرْبُ الْمَدِينَةِ ، هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ،
تَكَادُ أَنْ تَذْفِنَ الرَّكَّابَ ، فَرَعِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « بُعِثْتُ هَذِهِ
الرَّيْحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ » فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِذَا عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ .

١١٧ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْخُزَاعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ
دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَنِي بِمَالٍ ، إِلَى أَبِي سُفْيَانَ
بِمَكَّةَ ، لِيَقْسِمَهُ فِي قُرَيْشٍ ، بَعْدَ الْفَتْحِ ، فَقَالَ « التَّمَسَّ صَاحِبًا »
فَجَاءَنِي عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ، فَقَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى
مَكَّةَ ، فَتَلْتَمِسُ صَاحِبًا ، قُلْتُ أَجَلُ ، قَالَ فَأَنَا لَكَ صَاحِبٌ .

فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ صَاحِبًا . قَالَ
مَنْ ، قُلْتُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ، قَالَ « إِذَا هَبَطْتَ بِلَادَ قَوْمِي ، فَاحْذَرُهُ ،
فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ الْقَائِلُ : أَخُوكَ الْبَكْرِيُّ لَا تَأْمَنُهُ » فَخَرَجْنَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا
بِالْأَبْوَاءِ ، قَالَ إِنِّي أَرِيدُ حَاجَةً إِلَى قَوْمِي ، وَوَدِدْتُ ، أَنْ تَلْبَثَ لِي قَلِيلًا

فَقُلْتُ ، انصَرِفْ رَاشِدًا ، فَلَمَّا وَلَّى ذَكَرْتُ ، قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَشَدَدْتُ عَلَى بَعِيرِي ، فَخَرَجْتُ أَوْضِعُهُ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْأَصَافِرِ إِذَا هُوَ يُعَارِضُنِي فِي رَهْطٍ ، فَأَوْضَعْتُ ، فَسَبَقْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ جَاءَنِي ، فَقَالَ قَدْ كَانَتْ لِي إِلَى قَوْمِي حَاجَةٌ ، قُلْتُ أَجَلٌ ، وَمَضَيْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ ، فَدَفَعْتُ الْمَالَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ .

١١٨ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سُئِلَ مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ آذَنْتُ بِهِمْ شَجَرَةً .

١١٩ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو رَجَاءٍ ، قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لَهُ « مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَرَوَيْتُ حَائِطَكَ هَذَا ؟ » قَالَ لَهُ إِنِّي أَجْهَدُ أَرْوِيهِ فَلَا أُطِيقُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَجْعَلُ لِي مِائَةَ تَمْرَةٍ ، اخْتَارُهَا مِنْ تَمْرِكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . فَأَخَذَ الْغَرْبَ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَرَوَاهُ ، حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ غَرَقْتَ عَلَيَّ حَائِطِي ، فَاخْتَارَ مِائَةَ تَمْرَةٍ ، فَأَكَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ تَمْرَةٍ كَمَا أَخَذَهَا ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

١٢٠ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ مِنْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَبِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَجَلَسَ قَالَ : فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ « مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،

فَجَاءَ عُمَرُ ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ « يَا عُمَرُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ »
 قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ ، فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ عُمَرَ ، فَقَالَ
 « يَا عُثْمَانُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَتَنَاولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 سَبْعَ حَصِيَّاتٍ . أَوْ تَسَعَ حَصِيَّاتٍ : فَسَبَّخَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعَتْ لَهُنَّ
 حَيْنِنًا كَحَيْنِنِ النَّحْلِ .

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّخَ فِي يَدِهِ
 حَتَّى سَمِعَتْ لَهُنَّ حَيْنِنًا كَحَيْنِنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ ، ثُمَّ
 تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّخَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعَتْ لَهُنَّ حَيْنِنًا
 كَحَيْنِنِ النَّحْلِ . ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ
 عُثْمَانَ ، فَسَبَّخَ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعَتْ لَهُنَّ حَيْنِنًا كَحَيْنِنِ النَّحْلِ ،
 ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرَسْنَ . وَقَالَ الزُّهْرِيُّ يَعْنِي الْخِلَافَةَ .

١٢١ - ومنها قِصَّةُ الْمَزَادَتَيْنِ أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ شَكِيَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ
 فَدَعَا قُلَانًا وَدَعَا عَلِيًّا ، فَقَالَ « أَذْهَبَا فَابْغِيَا الْمَاءَ » فَاَنْطَلَقَا ، فَلَقِيَا
 امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا .

فَقَالَا لَهَا أَيْنَ الْمَاءُ ، فَقَالَتْ عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسَ هَذِهِ السَّاعَةُ وَنَفَرْنَا
 خُلُوفٌ . قَالَا اَنْطَلِقِي إِذَا قَالَتْ إِلَى أَيْنَ . قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ . الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ قَالَا : هُوَ الَّذِي تَغْنِينُ ،
 فَاَنْطَلِقِي ، فَجَاءَا بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ ،
 فَاسْتَنْزَلُوها عَنْ بَعِيرِهَا ، وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ فِيهِ مِنْ
 أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ . أَوْ السَّطِيحَتَيْنِ . وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا ، وَاطْلَقَ الْعُزَالَى ،

فَنُودِيَ فِي النَّاسِ اسْقُوا ، وَاسْتَقُوا ، فَسَقَى مَنْ شَاءَ ، وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ
وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ رَجُلًا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ
« اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ » وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ بِمَائِهَا .

وَإِئْتَمَرَ اللَّهُ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيِّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مَلَأَةً مِنْهَا حِينَ
ابْتَدَأَ فِيهَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اجْمَعُوا لَهَا » فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ
بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ ،
وَحَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : تَعْلَمِينَ مَا
رَزَأْنَا مِنْ مَاءِكَ شَيْئًا .

وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَسْقَانَا ، فَاتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ اخْتَبَسَتْ عَنْهُمْ .
وَقَالُوا مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانَةُ ، قَالَتْ الْعَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا
الصَّابِي فَقَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ .
تَغْنِي السَّمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ ، أَوْ إِنَّهُ لِرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدُ
يَغْيِرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا يُصِيبُونَ الْقَوْمَ الَّذِي هِيَ مِنْهُ .
فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا ، مَا أَرَى إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَدْعُونَكُمْ عَمْدًا ،
فَهَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَطَاعُوهَا ، فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ . وَفِي رِوَايَةٍ
قَالَتْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا مَاءَ لَكُمْ ، وَفِيهِ فَأَخْبَرَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهَا مُؤْتَمَةٌ فَأَمَرَ بِرَأْوِيَّتَيْهَا ، فَأُتِيَتْ فِي الْعَزْلَاوَيْنِ الْعُلَيَّاوَيْنِ .
ثُمَّ بَعَثَ بِرَأْوِيَّتَيْهَا فَشَرِبْنَا ، وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، عِطَاشًا ، حَتَّى
رَوَيْنَا ، وَمَلَأْنَا كُلَّ قُرْبَةٍ مَعَنَا ، وَإِدَاوَةٍ وَغَسَلْنَا صَاحِبِنَا ، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نُسْقِ
بَعِيرًا ، وَهِيَ تَكَادُ تَتَضَرَّجُ بِالْمَاءِ ، يَغْنِي الْمَزَادَتَيْنِ ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مَطُولًا .
١٢٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ سَلَمَةَ بِنِ الْأَسْكَوَعِ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فأصابنا جهْدٌ حتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنَحَرَ بَعْضُ ظَهْرِنَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعْنَا أَزْوَادَنَا ، وَبَسَطَ لَنَا نَظْعًا فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النَّظْعِ ، فَتَطَاوَلْتُ لِأَحْزَرُهُ كَمْ هُوَ ، فَإِذَا هُوَ كَرَبِضَةِ الْعَنْزِ ، وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً (١٤٠٠) فَأَكَلْنَا حتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرْبَنَا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « فَهَلْ مِنْ وُضُوءٍ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُظْفَةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ ، فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا ، نُدْغِفُهُ دَغْفَقَةً . رواه الشيخان .

١٢٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِتَمَرَاتٍ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْخُ فَيَنْهَنَ بِالْبَرَكَةِ ، فَضَمَّهِنَّ ، ثُمَّ دَعَا لِي فَيَنْهَنَ ، ثُمَّ قَالَ « خُذْهُنَّ » فَاجْعَلْنَهُنَّ فِي مِزْوَدِكَ هَذَا أَوْ فِي الْمِزْوَدِ ، فَكُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ ، وَخُذْ وَلَا تَنْثُرُهُ نَثْرًا » فَفَعَلْتُ ، فَلَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ حَقْوِي ، حتَّى كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ انْقَطَعَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٢٤ - وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ ذَهَبْتُ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ : فَمَسَحَ رَأْسِي ، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ : فَتَوَضَّأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ : ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ ، وَقَالَ الْجُعِيدُ ، رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ . ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ : جَلْدًا مُعْتَدِلًا : فَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتَّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي إِلَّا بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٢٥ - ومنها ما رواه الترمذي ، قال أَبُو زَيْدِ بْنِ أَخْبَطَ ، مَسَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَدَعَا لِي ، قَالَ عَزْرَةُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا عَاشَ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، وَلَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ إِلَّا شُعَيْرَاتٌ تُعَدُّ بِنِصْفٍ .

١٢٦ - ومنها ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَاتَاهُ ، وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثَ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخَوَالِهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَخْبَرَنِي بِهِنَّ آتِفًا جِبْرِيلُ » قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

« أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، فِزْيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، وَأَمَّا الشَّيْءُ فِي الْوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشَى الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاوُهُ ، كَانَ الشَّيْءُ لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَتْ كَانَ الشَّيْءُ لَهَا » قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، الْحَدِيثُ .

١٢٧ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أُمَّتَهُ تَحْذُو حَذْوَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَحَذْوَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ ، حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ، وَالتَّغْلِ بِالنَّغْلِ .

وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ حَدَّثَ حَذْوَهُمْ فِي الْإِخْتِلَافِ ، وَالتَّفَرُّقِ ، وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَالْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ ، وَالْكَذِبِ ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذْوَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

١٢٨ - وَمِنْ ذَلِكَ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ هَوَازِنَ يَقْتُلُ ذِي

الْخَوَيْصِرَةَ ، جِرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ ، وَأَصْحَابِهِ مَارْقِينَ مِنَ الدِّينِ ،
خَارِجِينَ عَلَى جَيْنِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ .

وحديثهم مذكورٌ في بعض السِّيرِ ، وكُتِبَ الْحَدِيثُ ، وَمَضْمُونُهُ أَنَّ ذَا
الْخَوَيْصِرَةَ قَامَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ هَوَازِنَ ،
فَقَالَ أَغْدِلْ يَا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« تَرَبَّتْ يَدَاكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَغْدِلْ أَنَا » فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ يَارَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُ نَافَقٌ فَمُرْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَخْفِرُ أَحَدُكُمْ
صَلَاتَهُ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا
يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ ، يَخْرُجُونَ عَلَى جَيْنِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، يَقْتُلُهُمْ
أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ، آيَتُهُمُ الْمُخَدَّجُ ، يَعْنِي ذَا الثَّدْيَةِ ، فَكَانَ الْأَمْرُ
كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمَذْكُورَ وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا
عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ .

فَقَتَلَهُمُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّهْرَوَانِ ، وَاسْتَخْرَجَ الْمُخَدَّجَ ذَا
الثَّدْيَةِ ، مِنَ الْمَاءِ مَقْتُولًا ، حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَكَانُوا
مَا يَقْرُبُ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا ، فَكَبَّرَ عَلِيُّ جَيْنَ وَجَدَهُ ، وَسَجَدَ سَجْدَةً شُكْرًا ،
وَكَبَّرَ الْعَسْكَرُ الَّذِي مَعَهُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ خَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَقَعَ طَبَقَ مَا قَالَ .

١٢٩ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ
مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى
عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ،
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) .

فَأَخْبَرَ أَنَّ عَمَّهُ أَبَا لَهَبٍ سَيَدْخُلُ النَّارَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ، وَعَاشَا مُدَّةً ،
وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى شِرْكِهِمَا ، وَلَمْ يُسْلِمَا حَتَّى وَلَا ظَاهِرًا ، وَهَذَا
مِنْ دَلَائِلِ النَّبُوءَةِ الْبَاهِرَةِ .

١٣٠ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) وَتَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُورٍ ، وَبِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَأَخْبَرَ
أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَمْ يَقَعْ ، وَلَنْ يَقَعَ : صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ،
فَهَذَا مِنْ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ .

١٣١ - وَقَالَ تَعَالَى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) وَهَكَذَا وَقَعَ سَوَاءٌ
بِسَوَاءٍ ، مَكَّنَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ وَأَظْهَرَهُ وَأَعْلَاهُ وَنَشَرَهُ فِي الْأَفَاقِ وَأَنْفَذَهُ
وَأَمْضَاهُ .

١٣٢ - وَقَالَ تَعَالَى (قُلْ لِلْمُخْلِفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ
أُولَى بِأُسِّ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ) ، قِيلَ إِنَّهُمْ فَارِسُ ، وَقِيلَ
الرُّومُ ، وَقِيلَ هَوَازُنُ ، وَثَقِيفُ ، وَعُظْفَانُ ، يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَقِيلَ بَنُو
حَنِيفَةَ ، قَوْمٌ مُسِيلِمَةُ الْكَذَابِ ، وَالْمُهِمُّ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٣ - وَقَالَ تَعَالَى (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ
هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا) وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا خَيْبَرَ ، أَوْ مَكَّةَ ، فَقَدْ فُتِحَتْ ، وَأُخِذَتْ كَمَا
وَقَعَ بِهِ الْوَعْدُ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ .

١٣٣ - وقال تعالى (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ، مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ ، لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) فَوَقَعَ إِنْجَازُ هَذَا الْوَعْدِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ عَامَ عُمَرَةَ الْقَضَاءِ .

١٣٤ - وقال تعالى (وَإِذْ يَبْعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) فَوَقَعَ طَبَقُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٥ - وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ، إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وَهَكَذَا وَقَعَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَوَّضَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٣٦ - وقال تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ، فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وَهَكَذَا وَقَعَ عَوَّضُهُمُ اللَّهُ عَمَّا كَانَ يَغْدُو إِلَيْهِمْ مَعَ حُجَّاجِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ ، وَسَلْبِ أَمْوَالِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَلَى كُفْرِهِ ، كَمَا وَقَعَ بِكُفَارِ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الرُّومِ ، وَمَجُوسِ الْفَرَسِ بِالْعِرَاقِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ، الَّتِي انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَرْجَائِهَا .

١٣٧ - وقال تعالى (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرَضُوا عَنْهُمْ فَاعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ) الْآيَةُ وَهَكَذَا وَقَعَ لَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانُوا مَعْدُورِينَ فِي تَخَلُّفِهِمْ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَاذِبُونَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْرِيَ أَخْوَالَهُمْ عَلَى ظَوَاهِرِهَا ، وَلَا يَقْضَحَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ .

١٣٨ - وقال تعالى (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) وهكذا وَقَعَ لَمَّا اسْتَوْرُوا عَلَيْهِ لِيُثْبِتُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، الْمِهُمُّ أَنَّهُ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سَوَاءً بِسَوَاءً .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةَ تَغْيِيرًا يَذْهَبُ النَّاطِرِينَ هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ ثَانِي أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ عَمُودُهُ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْهَا غَيْرَ مُبَالِيْنَ وَلَا نَادِمِينَ جَهِلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنَزَلَتُهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهِيَ خَيْرُ مَوْضُوعٍ وَضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الرَّحْمَنِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ الْمُصَلِّيَ الْمُقِيمَ لَهَا مِنْ ذُنُوبِهِ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَيْهَا كُلَّ الْحَرِصِ وَأَنْ تَعْتَنِيَ بِهَا كُلَّ الْإِعْتِنَاءِ وَلَا تُضَيِّعَ هَذَا الْوَاجِبَ الْعَظِيمَ الَّذِي بِأَدَائِهِ تَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْعُودِينَ بِالْفَوْزِ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ ، وَبِتَرْكِ هَذَا الْوَاجِبِ تَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُؤْعُودِينَ فِي الْجَحِيمِ أَبَدَ الْآبِدِينَ فَإِذَا حَانَ وَقْتُهَا فَاهْتَمُّوا بِهَا تَهَيَّئُوا لِمُنَاجَاةِ خَالِقِكُمُ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ مُتَمَثِّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَاعْتَنُوا أَوَّلًا بِالطَّهَارَةِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُهَا ثُمَّ أَدْوَاهَا بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ يُصَلُّونَ بِأَجْسَامِهِمْ وَيُحَرِّكُونَ أَلْسِنَتَهُمْ وَشَفَاهَهُمْ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ مُكَبِّرِينَ وَيَخْنُونَ طُحُورَهُمْ رَاكِعِينَ وَسَاجِدِينَ وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ لَمْ تَتَحَرَّكَ إِلَى اسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ مَوْلَاهُمْ وَلَمْ تَتَدَبَّرْ مَعَانِي مَا تَلْفِظُ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ لِأَنَّهَا فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا سَارِحَةٌ تُفَكِّرُ فِي الْعَقَارَاتِ وَالْمُدَايَنَاتِ

وَالْقَلِيلِ وَالْعَمَائِرِ الَّتِي عَنْ قَرِيبٍ سَيُخْلَفُونَهَا رَغَمَ أَنْوْفِهِمْ إِذَا نَظَرَتْ
إِلَى أَحَدِهِمْ وَهُوَ يُصَلِّي لَاهِيًا فِي تَفَكُّيرِهِ يَغْبَثُ فِي ثَوْبِهِ تَارَةً وَفِي سَاعَتِهِ
تَارَةً وَفِي أَنْفِهِ تَارَةً وَيُنْقِشُ سِنَّهُ تَارَةً وَبَعْضُهُمْ يَلْمُسُ مَكَانَ لِحْيَتِهِ أَوْ
يُصَلِّحُ مِيزَانِيبَ عُثْرَتِهِ أَوْ يَقْلَمُ أَظْفَارَهُ بِأَسْنَانِهِ . وَهَكَذَا حَتَّى يَخْرُجَ
مِنْهَا صِفْرًا مَامَعَهُ مِنْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِلَّا الْعُشْرَ وَلِهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ الْمُؤَدِّي لَهَا
هَكَذَا رَأَيْتَ أَنَّ الصَّلَاةَ هَذِهِ لَمْ تُؤَثِّرْ عَلَيْهِ لَا فِي تَتِمُّمِ الْوَاجِبَاتِ وَلَا فِي
تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ بَلْ وَلَا فِي تَخْفِيفِهَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ الصَّحِيحَةَ
الَّتِي أَقَامَهَا صَاحِبُهَا مِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا تُهَذِّبُ النَّفْسَ وَتَرْقُقُ الْخُلُقَ وَتَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .

فَإِذَا رَأَيْنَا إِنْسَانًا يُصَلِّي لَكِنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا وَيَحْضُرُ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ
أَوْ يَبِيعُهَا أَوْ يَشْتَرِيهَا أَوْ رَأَيْنَاهُ مَعَ السُّفْلَى الَّذِينَ يُلَاحِقُونَ النِّسَاءَ فِي
الْأَسْوَاقِ أَوْ رَأَيْنَاهُ يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي مِنْ شُرْبِ دَخَانٍ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ يَخْلُقُ
لِحْيَتَهُ أَوْ يَخْلُقُ لِحَاءَ النَّاسِ أَوْ يَجْعَلُ خَنَافِسَ أَوْ يَتَشَبَّهُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ
الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَوْ يَغُشُّ الْمُسْلِمِينَ أَوْ يَزْتَشِي أَوْ يَحْمِلُ النِّسَاءَ بِدُونِ
مَحْرَمٍ أَوْ يَخْلُوَ بِهِنَّ بِدُونِ مَحْرَمٍ أَوْ يُصَوِّرُ لِدَوَاتِ الْأَرْوَاحِ أَوْ يَبِيعُ
الصُّورَ أَوْ يَسْخَرُ بِالْمُسْلِمِينَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ عَلِمْنَا
أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي يُصَلِّي أَنَّهَا لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
فَلَمْ يَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَرُبَّمَا كَانَ الْمُتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ
مَعَ صَلَاتِهِ أَنَّهُ يَكِيدُ بِهَا النَّاسَ وَيَتَّخِذُهَا أَحْبُولَةً يَتَّصِدُّ بِهَا ثَنَاءَ النَّاسِ
عَلَيْهِ أَوْ لِلْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُصَلٍّ يَتَّصِدُّ
بِصَلَاتِهِ .

ذَنْبٌ رَأَيْتُ مُصَلِّيًا فَإِذَا مَرَزَتْ بِهِ رَكَعٌ

يَدْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْفَرِيسَةِ لَا تَقْع
عَجَلُ بِهَا عَجَلُ بِهَا إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ انْصَدَعُ

وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَمَا أَبْعَدَهُ عَنِ الدِّينِ وَمَا أَقْرَبَهُ إِلَى الرِّيَاءِ
وَالْتَّفَاقِ نَسَّالَ اللَّهُ الْعَصْمَةَ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ عَنِ مَا يُخِلُّ بِاللِّدِينِ
إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ . .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١٣٩- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، هُوَ أَنَّ رَهْطًا
مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ السَّهْمِيُّ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ ، وَالْوَلِيدُ
ابْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ،
وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَتَتَّبِعْ دِينَكَ ،
وَنُشْرِكُكَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً ، فَإِنْ كَانَ
الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا كُنَّا قَدْ شَرَكْنَاكَ فِيهِ ، وَأَخَذْنَا حَظَّنَا مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ
الَّذِي بَأْيَدِينَا خَيْرًا كُنْتَ قَدْ شَرَكْنَا فِيهِ ، وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ .

فَقَالَ « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ » قَالُوا : فَاسْتَلِمَ بَعْضُ آلِهَتِنَا ،
نُصَدِّقُكَ وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ . فَقَالَ لَا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ .

١٤٠- وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي حَالِ ضَعْفِهِمْ ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ وَيُمَكِّنُهُمْ ،

وَيُقَوِّئِهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ ، فَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتَكُونُ الْعُقْبَى لَهُمْ ، وَتَلَا بِذَلِكَ
الْقُرْآنَ .

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ « أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى
نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » - إِلَى قَوْلِهِ - « الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ »
فَتَمَكَّنَ أَصْحَابُهُ وَخُلَفَاؤُهُ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَكَانَتِ الْعُقْبَى لَهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ
الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

١٤١ - وَمِنْ ذَلِكَ الْقَاءُ النَّعَاسِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَاناً أَمَّنَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَوْفِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ
عَدُوِّهِمْ ، وَقِلَّةِ عَدِيدِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ : قَالَ تَعَالَى (إِذْ
يُغَشِّيَكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ . .) وَالآيَةُ الْأُخْرَى .

وَمِنْ ذَلِكَ تَقْلِيلُ الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْيُنِ
الْمُشْرِكِينَ وَتَقْلِيلُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُقَدِّمَ الْمُؤْمِنُونَ
وَيَتَجَرَّؤُوا وَيَطْمَعُوا فِيهِمْ وَلَقَلَّ يَهْرَبَ الْمُشْرِكُونَ ، قَالَ تَعَالَى (وَادِّ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) .

١٤٢ - وَمِنْ ذَلِكَ أَنْزَالُ الْمَطَرِ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاطْفَأَ الْغُبَارَ ، وَتَلَبَّدَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، حَتَّى ثَبَتَتْ الْأَقْدَامُ ،
وَتَوَضَّأُوا مِنْهُ ، وَسَقَوْا الرِّكَّابَ ، وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ وَزَالَتْ عَنْهُمْ وَسْوَسةُ
الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ ، تَسِيخُ فِيهِ
الْأَقْدَامُ ، وَحَوَافِرُ الدَّوَابِّ ، وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْكُفَّارُ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، وَأَصْبَحَ

المُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُخَدِّثِينَ ، وَبَعْضُهُمْ مُجَنِّبِينَ . وَأَصَابَهُمُ الظَّمَا ،
وَوَسَّوَسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ : تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَفِيكُمْ
نَبِيُّ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ . وَقَدْ غَلَبَكُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ ، وَأَنْتُمْ
تُصَلُّونَ مُجَنِّبِينَ ، وَمُخَدِّثِينَ ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ ،
وَأَصَابَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ ذَلِكَ الْمَطَرِ مَا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مَعَهُ .

١٤٣ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي رِجَالٍ بِأَعْيَانِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى
كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَمُوتُوا ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ (فَلَا صَدَقَ وَلَا
صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ
أُولَى لَكَ فَأُولَى) فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَتُوْعِدُنِي يَا مُحَمَّدُ ، وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ
أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا وَلَإِنِّي لَأَعِزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْنِهَا فَلَمَّا كَانَ
يَوْمُ بَدْرٍ صَرَعَهُ اللَّهُ شَرًّا مَصْرَعٍ ، وَقَتْلَهُ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنًا وَإِنْ فِرْعَوْنٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ »
وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنْ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْإِثْمِ كَالْمُهْلِ
يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

١٤٤ - وَمِنْهَا قِصَّةُ الْبَكَاوُونِ الَّذِينَ اسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فَقَالَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فَتَوَلَّوْا يَبْكَوْنَ
وَأَعْيَنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ .

وَقَامَ عَلِيَّةُ بْنُ يَزِيدٍ فَصَلَّى مِنَ اللَّيْلِ وَبَكَى وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ
أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَبْتَ فِيهِ ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ
وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ
مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ .

ثم أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيَّنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَيَّنَ الْمُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَشِّرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ فِيَّ هَذَا مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذَا غَيْبٌ أَعْلَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٤٥- ومنها ما رُوي أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ فَقَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْضٍ شَدِيدٍ فَانْزَلْنَا مَنْزِلًا وَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرِبُهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّذَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا فَاذْعُ اللَّهُ لَنَا فَقَالَ أَوْ تُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ - أَيُّ آذَنْتِ بِمَطَرٍ فَأَطَلَتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا جَاوَزَتْ الْعُسْكَرَ .

١٤٦- ومنها حِينَمَا ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عَمَارَةُ ابْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ .

وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ الْقَيْنُقَاعِيُّ وَكَانَ مُنَافِقًا فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ وَهُوَ فِي رَحْلِ عَمَارَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ يُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيَّنَ نَاقَتُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمَارَةُ عِنْدَهُ إِنَّ رَجُلًا قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ يُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ

لَا يَذَرْنِي أَيْنَ نَاقَتُهُ وَانِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي
اللَّهُ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِجْبٍ كَذَا وَكَذَا قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا
فَانْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُوا بِهَا وَقَدْ وَجَدَهَا الْحَارِثُ بْنُ خَزَمَةَ الْأَشْهَلِي كَمَا قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ زَيْدٌ لَكَأَنِّي لَمْ أُسْلِمَ إِلَّا الْيَوْمَ فَقَدْ
كُنْتُ شَاكَاً فِي مُحَمَّدٍ وَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنَا فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ .

١٤٧ - ومنها أَنَّهُ لَمَّا مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرًا
فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ فَلَانُ فَيَقُولُ دَعُوهُ
فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ
مِنْهُ حَتَّى قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ فَقَالَ دَعُوهُ فَإِنْ
يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ .
وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ - أَيِ انْقَطَعَ - أَخَذَ
الْمَتَاعَ مِنْ عَلَيْهِ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاشِيًا وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُ فَنَظَرَ نَازِرًا
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَخَدَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا ذَرٍّ فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ - وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَخَدَهُ وَيَمُوتُ وَخَدَهُ وَيُبْعَثُ وَخَدَهُ وَقَدْ تَحَقَّقَ
قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍّ نَزَلَ
أَبُو ذَرٍّ الرِّبْدَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُهُ وَغُلَامُهُ
فَأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسِّلَانِي وَكَفَّنَانِي .

ثم ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا لَهُ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَهْطُ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَارًا فَلَمْ يَرُغْمُهُمْ إِلَّا جَنَازَةً عَلَى الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوِيهَا وَقَامَ الْغُلَامُ فَقَالَ هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ .

فَاسْتَهْلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَمْشِي وَخَذَكَ وَتَمُوتُ وَخَذَكَ وَتُبْعَثُ وَخَذَكَ » .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ وَاسْمُ أَبِي ذَرٍّ « جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ » وَمَاتَ فِي سَنَةِ ٣٢ هـ .

وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةٍ وَفَاتِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ ذَرٍّ قَالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةَ بَكَيْتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ فَقُلْتُ مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسُوعُكَ كَفْنَا وَلَا يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيْبِكَ .

قَالَ أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَأَبْصِرِي الطَّرِيقَ فَقُلْتُ أَنَّى وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطُّرُقُ .

فَقَالَ إِذْهَبِي فَتَبْصِرِي قَالَتْ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إِلَى الْكَثِيبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ أَرْجِعَ

فَأَمْرُضُهُ فَبَيْنَمَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَانَهُمُ الرَّحْمُ تَحِبُّ بِهِمْ رَوَّاحِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشْرْتُ إِلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوا إِلَيَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ .

فَقَالُوا يَا أَمَّةَ اللَّهِ مَا لَكَ قُلْتَ امْرُؤٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ قَالُوا وَمَنْ هُوَ قُلْتُ أَبُو ذَرٍّ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَعَمْ فَفَدَّوهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُمْ أَبَشِرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيَنْفَرَنَا فِيهِمْ لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِغَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ مِنْ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ .

وَاللَّهُ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْغُنِي كَفَنًا لِي أَوْ لَامْرَأَتِي لَمْ أَكْفَنْ إِلَّا فِي ثَوْبٍ لِي أَوْ لَهَا وَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا وَلَيْسَ مِنْ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضُ مَا قَالَ إِلَّا فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ .

قَالَ أَنَا أَكْفَنُكَ يَا عَمُّ أَكْفَنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ مِنْ عِيبَتِي مِنْ غَزَلِ أُمِّي قَالَ فَانْتَ تَكْفِنُنِي فَكَفَّنُهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلٍّ^(١) يَمَانٍ فِيهِ هَذِهِ مُعْجَزَةٌ .

١٤٨ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ اسْحَاقَ مِنْ أَنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ - بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشٍ لُهُمَا فِي حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا .

فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضَّحِّ - لَهَبِ الشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا -

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

والريح والحرّ وأبو خيثمة في ظلّ باردٍ وطعامٍ مهيّأ وامرأة حسناء في ماله مقيمٌ ما هذا بالنّصف والعدل .

ثم قالَ وَاللّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيْشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَيْئًا لِي زَادًا فَفَعَلْنَا ثُمَّ قَدَمَ نَاصِحَهُ فَارْتَحَلَهُ - أَيْ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلْسَفَرِ .

ثم خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُوْلِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَذْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أَقْبَلَ قَالَ النَّاسُ هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُوْلُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ .

فَقَالُوا يَا رَسُوْلُ اللّهِ هُوَ وَاللّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أَنَاخَ رَاكِتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُوْلِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَ خَبْرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ فِي هَذِهِ مُعْجَزَةٌ .

١٤٩ - وَمِنْهَا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِنْهُمْ مَخْثِيٌّ بْنُ حَمِيْرٍ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسِبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاللّهِ لَكَأَنَّكُمْ غَدًا مُقَرَّرِيْنَ فِي الْجِبَالِ لِرَجَافٍ وَارْهَابٍ لِلْمُؤْمِنِيْنَ .

فَقَالَ مَخْثِيٌّ وَاللّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنَّ يُضْرَبَ كُلُّ مِنَّا مِائَةَ جِلْدَةٍ وَأَنَا نَنْقَلِبُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رَسُوْلُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَذْرِكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا فَانْطَلِقْ إِلَيْهِمْ عِمَارُ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فَاتُوا رَسُوْلَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ

ثَابِتُ كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ » فَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَكَانَ الَّذِي عَفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَتَسَمَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيداً لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ ، فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مُعْجَزَةٌ أَيْضاً .

١٥٠ - وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَائِدٍ فِي مَغَازِيهِ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ تَبُوكَ فِي زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيهِ فَاعْتَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فِيهِ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ .

قُلْتُ : فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُضُوءِهِ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّكُمْ سَتَاتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسُّ مِنْ مَائِهَا شَيْئاً حَتَّى آتِي .

قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلَ الشَّرَاكِ تَبْضُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً قَالَا نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ فِيهِ هَذِهِ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٥١ - وَمِنْهَا قِصَّةُ أَبِي رِغَالٍ لَمَّا رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ مَعَهُ غُصْنَا مِنْ ذَهَبٍ إِنْ

رَأَيْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَاسْتَخْرَجُوا الْغُصْنَ وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ أَيْضاً .

١٥٢ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِإِرْجَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » قَالَ الْمَفْسُورُونَ إِلَى مَكَّةَ وَوَقَعَ طَبِيقٌ مَا أَخْبَرَ فَيَكُونُ عَلَمًا عَلَى نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٥٣ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ . . . » إِلَى قَوْلِهِ « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .
فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ إِخْبَارٌ عَنْ غُيُوبٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا تَزَكِيَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُبَايِعِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَإِعْلَانُ الرِّضَا عَنْهُمْ وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ إِذْ لَوْ كَانَ فِي إِيمَانٍ أَحَدُهُمْ دَخَلَ لَشَكَّ وَارْتَابَ وَأَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ وَكُفْرَهُ وَلَوْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَى هَذَا الْإِعْلَانِ الْخَطِيرِ إِذْ لَا يَتَعَلَّمُ مَا فِي بَوَاطِينِهِمْ إِلَّا اللَّهُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْإِخْبَارِ وَأَنَّهَا أَعْلَامٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٥٤ - وَمِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِحَوَادِثٍ خَاصَّةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ » فَفِي هَذَا عَلَمٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ غَيْبِيَّةٌ أَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهَا .

١٥٥ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي

مَجْهُودٌ فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاذْطَلِقْ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ
فَقَالَ لَا مِرَارَ بِهِ هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ قَالَتْ لَا إِلَّا قُوْتُ صِيبَانِي قَالَ فَعَلَّلِيهِمْ
بَشِيءٌ فَاذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ قَالَ فَقَعَدُوا
بِهِ وَأَكَلَ الضَيْفُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : قَدْ عَجِبَ
اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ فَهَذَا غَيْبٌ مِنَ الْغُيُوبِ أَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهَ
بِهِ فَهُوَ مُعْجَزَةٌ وَاضِحَةٌ .

١٥٦- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ
يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا » إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
« وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » .

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْحَاكِمُ
وَصَحَّحَهُ عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ أَهْلُ بَيْتِ مِنَّا
يُقَالُ لَهُمْ بَنُو أُبَيْرِقَ بَشِيرٌ وَبَشِيرٌ وَمُبَشِّرٌ ، وَكَانَ بِشَرَّ رَجُلَاءٍ مُنَافِقًا يَقُولُ
الشُّعْرَ يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَنْحَلُّهُ لِبَعْضِ
الْعَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا فَاذَا أَسْمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشُّعْرَ إِلَّا هَذَا الرَّجُلُ الْخَبِيثُ أَوْ كَمَا
قَالَ الرَّجُلُ وَقَالُوا ابْنُ الْأُبَيْرِقَ قَالَهَا قَالَ وَكَانُوا أَهْلُ بَيْتٍ وَحَاجَةٍ وَفَاقَةٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرّمك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه وأما العيال فأنما طعامهم التمر والشعير .

فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعه بن زيد حملاً من الدرّمك فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح ودرع وسيف فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح .

فلما أصبح أتاني عمي رفاعه فقال يا ابن أخي قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا قال فتحسّسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم .

قال وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجلاً منا له صلاح وإسلام . فلما سمع لبيد اخترط سيفه .

وقال : أنا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له .

قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن أهل بيت أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سأمروني بذلك .

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُو الْأُبَيْرِقِ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَسِيدُ بْنُ
عُرْوَةَ فَكَلِمُوهُ فِي ذَلِكَ فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ وَعَمَّهُ عَمَدًا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلُ اسْلَامٍ
وَصَلَاحٍ يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ .

فَأْتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ عَمَدَتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ
ذَكَرَ مِنْهُمْ اسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَلَا بَيِّنَةٍ .

قَالَ فَارْجَعْتُ وَلَوِ دِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أَكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ
فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ « إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا » يَعْني بَنِي أُبَيْرِقٍ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُ لِقَتَادَةَ . . . فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّلَاحِ فَرَدَّهُ إِلَى رِفَاعَةَ .

١٥٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي تَبْرِئَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عنها مِنَ الْإِفْكِ قَالَ تَعَالَى « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » الْآيَةُ .

عَشْرُ آيَاتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها حِينَ رَمَاهَا
أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا قَالُوا مِنَ الْكُذْبِ الْبَحْتِ وَالْفِرْيَةِ
الَّتِي عَارَ اللَّهُ لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهَا صِيَانَةً لِعَرَضِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَعْدَ مَا بَقِيَتْ الْأَلْسِنَةُ تَخَوُّضُ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ قَرِيبًا مِنَ الشَّهْرِ وَالرَّسُولُ

صلى الله عليه وسلم لا يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ -
وَهُوَ حَائِرٌ مُتَرَدِّدٌ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ يَسْأَلُ وَيَسْتَشِيرُ .

وَالْمُنَافِقُونَ يُشِيعُونَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى وَقَعَ فِيهَا مَنْ وَقَعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
ثُمَّ جَاءَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ
فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَّبِرْ لَكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ
أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ
ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ
فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى أَنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ
الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ .

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ
أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ
فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ
لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ » الْآيَاتِ
فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ
وَتَفَهَّمَهُ فَقَدْ كَانَ مَوْقِفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَائِشَةَ بَعْدَ إِشَاعَةِ
الْفِرْيَةِ وَالْبُهْتَانِ مَوْقِفَ التَّرَدُّدِ وَالْحَيْرَةِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ بَعْدَ الْوَحْيِ فُجْأَةً إِلَى مَوْقِفِ الثِّقَةِ وَالْاطْمِئْنَانِ وَهَذَا التَّحَوُّلُ
لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا بِبِرَائَتِهَا بِإِخْبَارِ مِنَ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ
جَلَّ وَعَلَا وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ .

١٥٨ - وَمِنْ ذَلِكَ تَحَدَّى الْيَهُودَ فِي تَمَنِّي الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ « قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنُّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » .

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَتَمَنُّوا الْمَوْتَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنُّوهُ أَبَدًا فَمَا تَمَنَّا أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَارَضَتِهِمْ لَهُ وَكَيْدِهِمْ لَهُ فَقَامَ ذَلِكَ دَلِيلًا صَادِقًا عَلَى نُبُوته ومعجزة عظيمة .

١٥٩ - قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَأَخْبَرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنُّوا الْمَوْتَ أَبَدًا وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ فَلَا يَتَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا وَهَذَا دَلِيلٌ مِنْ وَجْهَيْنِ مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِأَنْ لَا يَكُونَ أَبَدًا وَمِنْ جِهَةِ صَرْفِ اللَّهِ لِذَوَاعِي الْيَهُودِ عَنِ تَمَنِّي الْمَوْتِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مَقْدُورٌ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ لَمْ تَنْبَعِثْ ذَوَاعِيهِمْ لِإِظْهَارِ تَكْذِيبِهِ بِإِظْهَارِ تَمَنِّي الْمَوْتَ أَه .

١٦٠ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وَهَذَا الْإِخْبَارُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْغَيْبِ وَوَقَعَ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فَحِفِظَ وَتَمَّ وَعَدُ اللَّهِ بِذَلِكَ .

وَلَنْ يَأْتِيَهُ تَغْيِيرٌ يَعْْمُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ تَعَالَى « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » .

١٦١ - وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ بِعِصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ قَالَ

تعالى « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ فَحَفِظَ نَبِيَّهُ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْمُحَاوَلَاتِ مِنْ أَعْدَائِهِ فَفِي ذَلِكَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوته ومعجزة واضحة .

١٦٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » قَالَ الْبَغَوِيُّ أَيْ يَكْفِيكَ شَرَّ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَدْ كَفَى بِإِجْلَاءِ بَنِي النَّظِيرِ وَقَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَضَرْبِ الْجَزِيَّةِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. أَهْ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْغَيْبِ فَيَكُونُ مُعْجَزاً دَالاً عَلَى صِدْقِهِ حَيْثُ وَقَعَ طَبَقٌ مَا أَخْبَرَ .

١٦٣ - وَمِنْ ذَلِكَ الْمُبَاهَلَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » .

قِيلَ إِنْ سَبَبَ نَزُولَ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ صَاحِبِي نَجْرَانَ جَاءَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَادَلَاهُ فِي أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ وَالْمُبَاهَلَةُ دُعَاءُ اللَّهِ وَالِابْتِهَالُ إِلَيْهِ أَنْ يُنْزَلَ لَعْنَتُهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ فَوَاعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُلَاعِنَاهُ الْغَدَاةَ .

فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَاهُ وَأَقْرَأَ لَهُ بِالْخُرَاجِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالَا لَأَمْطَرُ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً فَفِي هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا يَدُلُّ عَلَى نُبُوْتِهِ لَمَا أَحْجَمُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ ثَانِيًا وَثَوَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ .

١٦٤ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُْمَزَةٍ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) فَمَاتَ عَلَى كُفْرِهِ ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ ، وَنَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا بَعْدَ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ ، وَصَارَ فِي نَقْصَانٍ مِنْ مَالِهِ وَوَلَدِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَافِرًا ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ نَزُولِ ذَلِكَ حَيًّا سَلِيمًا .

١٦٥ - وَمِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ، شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ ، وَالْأَرْصَادِ ، وَقَدْ كَانَ رَحَلَ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى فَارِسَ ، وَطَلَبَ مَا يَكِيدُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، فَاشْتَرَى أَخْبَارَ الْعَجَمِ ، وَقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ يُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا وَيَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا يُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثِ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَنَا أَحَدُكُمْ بِحَدِيثِ رُسْتَمٍ وَاسْفِنْدِيَارَ وَأَخْبَارِ الْأَكَاسِرَةِ ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ ، وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ كَلَامِ اللَّهِ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَهُ مُقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ .

وَقِيلَ : نَزَلَ فِيهِ أَيْضًا غَيْرُهَا وَقِيلَ : إِنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ دَهَبَتْ بِقُحْفٍ رَأْسِهِ وَحَصَلَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَأْثُورِينَ وَقَالَ لَا أَذُوقُ طَعَامًا ، وَلَا شَرَابًا مَا دُمْتُ فِي أَيْدِيهِمْ فَمَاتَ مِنَ الضَّرْبَةِ وَصَارَ

إِلَى النَّارِ بَعْدَ أَنْ أَذَاقَهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْمُهِينَ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ وَكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

١٦٦ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ ، اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ حِينَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الْفُرسِ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ ، وَمَا وَالَاهَا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَقَاصِي بِلَادِ الرُّومِ ، حَتَّى الْجَاهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَحَاصَرَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ عَادَتْ الدَّوْلَةُ إِلَى هِرَقْلَ ، كَمَا بَشَّرَ الْقُرْآنُ قَبْلَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ، مِنْ انْتِصَارِهِ عَلَى الْفُرسِ ، فَوَقَعَ طَبَقَ مَا أَخْبَرَ ، فَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى رِسَالَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٦٧ - وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُهُ مَا جَاءَ عَنْ آدَمَ وَنَشَاتِهِ ، وَمَا وَسَّوَسَ بِهِ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْهَبُوطِ إِلَى الْأَرْضِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ .

١٦٨ - وَحَدَّثَنَا عَنْ نُوحٍ أَوَّلِ الْمُرْسَلِينَ وَمَا لَقِيَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنْ أَذَى وَسُخْرِيَّةٍ ، وَمُدَّةٍ لَبِئِهِ فِيهِمْ ، وَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ صُنْعِ الْفُلْكِ ، وَرُكُوبِهِ ، وَانْجَائِهِ ، وَمَنْ مَعَ نُوحٍ وَهُمْ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ ، وَدَعْوَتِهِ لِابْنِهِ ، وَعِصْيَانِ ابْنِهِ لَهُ ، وَجَوَابُ اللَّهِ لَهُ حِينَ قَالَ (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) وَانْهَمَارِ السَّمَاءِ بِالْمَاءِ ، وَتَفْجِيرِ الْأَرْضِ عُيُونًا ، وَإِغْرَاقِ الْكَافِرِينَ وَنَجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ .

١٦٩ - وَأَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا تَمَّ لَهُ عِنْدَ وَلَادَتِهِ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ فِي مِصْرَ ، وَمَا حَدَّثَ لَهُ فِي مَدْيَنَ ، وَمَارَاةُ فِي جَبَلِ الطُّورِ ، وَمَا كُتِّفَ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الرُّسَالَةِ ، وَمَادَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ مِنْ حِوَارٍ ، وَمَا جَرَى مِنَ السَّحَرَةِ ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ فِرْعَوْنَ ، وَمَلَكُهُ ، وَمُوسَى وَقَوْمِهِ .

١٧٠ - وَأَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ عِيسَى .

١٧١ - وَأُمُّهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَمَا وَقَعَ لَهَا مِنَ الْخَوَارِقِ ، وَمَا صَنَعَهُ لَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مَكَايِدَ .

١٧٢ - وَأَخْبَرَ عَنْ دَاوُدَ .

١٧٣ - وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَذَكَرَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهَا وَمَا آتَاهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى دَاوُدَ بِتَسْخِيرِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ لِلتَّسْبِيحِ مَعَهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَلَّ وَعَلَا عِلْمُهُ صَنْعَةَ الدَّرُوعِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بِتَسْخِيرِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ الَّتِي تَجْرِي بِأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ تَغُوصُ فِي الْبَحَارِ وَتَعْمَلُ لَهُ أَعْمَالًا أُخْرَى .

١٧٤ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، وَمُحَاجَّتِهِ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ وَهُوَ مُرَوِّدٌ ، الْبَابِلِي ، الْمُعْطَلِي ، الْمُنْكَرِي ، لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِلَى أَنْ وَقَفَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ ، وَاضْمَحَلَّتْ شُبُهَتُهُ ، وَأَخْبَرَ عَنْ طَلَبِهِ لِرَبِّهِ ، أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُخَيِّي الْمَوْتَى ، وَإِجَابَةِ اللَّهِ دَعْوَتِهِ ، وَتَلْبِيَةِ طَلَبَتِهِ ، وَعَنْ مَا ابْتَلَاهُ بِهِ مِنْ ذُبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَأَخْبَرَ عَنْ مَا مَنَّ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَالدَّعْوَةِ ، وَالصَّبْرِ ، وَمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنَ الذُّرِّيَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالنَّسْلِ الطَّيِّبِ وَأَنَّهُ جَعَلَ صَفْوَةَ الْخَلْقِ مِنْ نَسْلِهِ .

١٧٥ - وَأَخْبَرَ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ إِخْوَتِهِ ،

وَمِقْدَارِ لُبِّهِ فِي السَّجْنِ ، وَمُرَاوَدَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لَهُ ، وَظُهُورِ بَرَاءَتِهِ
وَبَيَانِ صِدْقِهِ ، وَإِنْشَارِ اللَّهِ لَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَمَا جَرَى لِأَبْنِهِ يَعْقُوبَ .

١٧٦ - وَأَخْبَرَ عَنْ لُوطٍ ، وَمَا قَالَه لِقَوْمِهِ ، تَوْبِيخاً لَهُمْ ، وَجَوَابِهِمْ
السَّخِيفِ لَهُ جَزَاءِ نُضْجِهِ ، وَإِنْجَاءِ اللَّهِ لَهُ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ ،
وَأَخْبَرَ عَنْ مَجِيِّ الرُّسُلِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ سَاءَ مَا مَجِئُهُمْ ، وَذَلِكَ لِمَا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ
اِغْتِدَاءِ قَوْمِهِ عَلَيْهِمْ وَفِعْلاً جَاؤُوا يُهْرَوِلُونَ إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَا أَوْفَعَهُ اللَّهُ
مِنَ الْعُقُوبَةِ الْعَظِيمَةِ ، جَزَاءِ فِعْلَتِهِمْ ، الشَّيْعَةِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ .

١٧٧ - وَأَخْبَرَ عَنْ زَكَرِيَّا ، وَنِدَائِهِ لِرَبِّهِ ، وَآثَارِهِ الصَّالِحَةِ وَمَنَاقِبِهِ
الْجَمِيلَةِ ، وَتَبَشِيرِ اللَّهِ لَهُ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، وَطَلَبِهِ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ
لَهُ آيَةً ، يَطْمَئِنُّ بِهَا قَلْبُهُ ، وَلَيْسَ شَكًّا فِي خَبَرِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الْخَلِيلُ (رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ : أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ :
بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) وَاجَابَةِ اللَّهِ إِلَى طَلَبَتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنَ الْكَلَامِ ،
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا .

١٧٨ - وَأَخْبَرَ عَنْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ ،
وَلَا يَتَعَالَى عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ ، وَوَصَفَهُ بِصِفَاتٍ كُلُّهَا مَنَاجِجَ لِلْخَيْرِ ،
وَوَسَائِلَ لِلطَّاعَةِ ، أَوَّلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) إِلَى أَنْ ذَكَرَ
سُبْحَانَهُ جَزَاءَهُ ، عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَأَسْلَفَ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ .

١٧٩ - وَأَخْبَرَ عَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، وَأَنَّهُ
أُنْجِبَ مِنْهَا وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أَبِي ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ حَوْلَهَا وَوَلَدَهَا عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، وَمَا لَقِيَا مِنَ الْإِبْتِلَاءِ ، وَالْإِمْتِحَانِ ، وَمَا قَابَلَا بِهِ ذَلِكَ .

١٨٠ - وَأَخْبَرَ عَنْ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِبْرَاقِهِ إِلَى الْفُلْكِ ،

وَمُسَاهَمَتِهِ لِأَهْلِ الْفُلْكِ ، وَالتِّقَامِ الْحَوْتِ لَهُ ، وَانَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ،
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا ، وَعَنْ نَبْدِهِ فِي مَكَانٍ خَالٍ لَا نَبَاتَ فِيهِ ،
وَأَخْبَرَ عَنْ لُطْفِهِ بِهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُ ، وَعِنَايَتِهِ بِهِ ، بِانْبَاتِ شَجَرَةِ الْيَقْطِينِ
وَأنَّهُ أَرْسَلَهُ (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) وَأَنَّهُمْ آمَنُوا ، وَمَتَعَهُمُ اللَّهُ
إِلَى حِينٍ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ لِلْعِلْمِ الدِّينِيِّ آثَارٌ جَلِيلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيرٌ وَكُلَّمَا
كَانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ بِالْعِلْمِ الدِّينِيِّ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْعُقَلَاءِ جَلِيلٌ مَضَى
السَّلَفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ يَطِيبُ الْمَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ
كَانُوا رِجَالًا مِثْلَنَا وَلَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ
وَآثَارِهِ الْجَلِيلَةِ كَانُوا خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ كَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ لِأَنَّهُمْ
رَضُوا بِقِسْمَةِ مَوْلَانَا الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ وَكَانُوا أَشْجَعَ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا
أَنَّ الْأَجَلَ لَا يُطِيلُهُ الْجُبْنُ الدَّمِيمُ فَكَمْ مِنْ قَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالْجُبْنِ كَمَا قِيلَ :
كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلَا فِي خَوْضٍ مَهْلَكَةٍ وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالسُّدَمِ فِي الْجُبْنِ
وَكَانُوا فِي الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي وَكَانُوا مَحَطَّ رِحَالِ
الْجُودِ وَالْكَرَمِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ
وَأَنَّ الَّذِي يَرْضَى بِالْبُخْلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ لِابْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ
الْبَلَايَا مَهْمَا قَسَتْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَصْرَفُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ
وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ لِعِزِّهِمْ أَنَّهَا لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَأنَّهُ
يَزِيدُ الشَّاكِرِينَ وَيَرْضَى عَنِ الْحَامِدِينَ وَكَانُوا أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الشَّرِّ وَلَا
يُحِبُّونَ أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْخَيْرَ لِإِخْوَانِهِمْ

المُسْلِمِينَ وَكَانُوا لَا يُضْمِرُونَ حَسْداً وَلَا شراً لِأَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ
لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ يُحِيطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ
فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ مَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وَكَانُوا لَا يَشْهَدُونَ
الْمُنْكَرَ وَالزُّورَ بَلْ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُونَ وَكَانُوا يَحْتَنُونَ إِلَى مَجَالِسِ
الدِّكْرِ حَنِينَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَتَحَرَّكُوا
أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِشَارَةِ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ يَتَحَرَّكُونَ وَيَسْكُنُونَ لِهَذَا كَانُوا لِلْيَوْمِ
مَوْضِعَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رَضَى رَبُّ الْعَالَمِينَ هَكَذَا
كَانُوا بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ
إِعْجَابٍ مِنْ نَاحِيَةٍ أَنْ هَدَفْنَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْحُطَامُ الْفَانِي لِأَغْيَرِ لِهَذَا
كَانَ الْوَاحِدُ مِنَّا إِذَا رَسَبَ يَكَادُ يَنْتَحِرُ وَيَقُولُ فَاتَ عَلَى سَنَةٍ مَحْضُورُ
رَوَاتِبِهَا لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةِ آلَافٍ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ الْعِلْمَ بِمَا جَهَلَهُ وَتَوَجَّهَ
عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَمَا يَنْجَجُ كَانَ عِنْدَهُ يَتَسَاوَى السَّرْعَةُ وَالْبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمُهِرَ
فِي الْمَعْلُومَاتِ لِهَذَا الْقَصْدِ مَاتَتِ الْفَضَائِلُ وَانْتَزَعَتْ بَرَكَاتُ الْعِلْمِ وَفَقَدَتْ
هَيْبَةُ الْعَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ كُلُّ يُفْتِيٍّ وَكُلُّ يُرْشِّعٍ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا
فَوْرًا وَلَكِنَّ النَّاسَ الْوَرَعِينَ لَا يَطْمَئِنُّونَ إِلَّا إِلَى النَّوَادِرِ مِمَّنْ يُوَثِّقُ بِدِينِهِمْ
وَأَمَانَتِهِمْ وَيَتَرَكُونَ الْمُرَائِينَ وَالْمُجِبِّينَ لِلظُّهُورِ وَالشُّهْرَةِ الَّذِينَ ضَاعُوا
وَضَاعُوا عِبَادُ اللَّهِ .

وَحَتَامًا فَلَوْ أَنَّنَا أَحْيَيْنَا طَرِيقَةَ سَلَفِنَا فِي الْعِلْمِ الْمُطَابِقِ لِلْعَمَلِ
لَأُصْبَحْنَا وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمُ الدِّفِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْأَرْوَاحِ
الْعَامِلَةِ بِمَا عَلِمَتْ .

شِعْرًا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ غَيَّبْتَهَا فِي التُّرَابِ لُحُودُ

فَأَنْتَ بِهِيْهُ الطَّبَّاعِ وَإِنَّمَا قَصَّارَكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيدُ
سَتَبِكِي الْعَلَا قَوْمًا تَسَامَوْا لِنِيلِهَا كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ الْعُيُونِ هُجُودُ
يُعِيدُونَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُومُهُ فَتَضْحِي عَلَيْهَا لِلْفَخَارِ بُرُودُ
كَفَى غُرْبَةً لِلدِّينِ هَذَا الَّذِي نَرَى فَلَيْسَ عَلَى ذَا الْاِغْتِرَابِ مَزِيدُ
أَلَمْ تَبْقَ فِي أَهْلِ الدِّيَانَةِ هِمَّةٌ أَلَمْ يَبْقَ شَخْصٌ لِلطُّفَاةِ يَلُودُ

اللهم ثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَوَقِّفْنَا
لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ مِنْ امْتِثَالِ أَوْامِرِكَ واجْتِنَابِ نَوَاهِيكَ
وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٨١ - وَأَخْبَرَ عَنْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى ثَمُودَ الْقَبِيلَةِ
الْمَعْرُوفَةِ ، الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ ، وَمَا حَوْلَهُ ، وَأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ
وَنَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، وَأَنَّهُ جَاءَهُمْ بَيِّتٌ ، خَارِقَةٌ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ،
وَهِيَ نَاقَةٌ ، شَرِيفَةٌ ، فَاضِلَةٌ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ بَوَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِيهَا ، وَسَهَّلَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ ،
الْمُوصِلَةَ إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، وَأَمَدَّهُمْ بِالْقُوَّةِ ، وَأَنَّهُمْ قَابَلُوا إِخْلَاصَ صَالِحٍ
وَنُصْحَهُ ، بَعَقِرِ النَّاقَةَ ، وَالتَّحْدِي بِالْعَذَابِ ، وَآخِرُ الْأَمْرِ (أَخَذَتْهُمْ
الرَّجْفَةُ : فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ، كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) (وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

١٨٢ - وَأَخْبَرَ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى عَادِ الْأَوَّلَى ، فِي
أَرْضِ الْيَمَنِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ ، وَأَنَّهُمْ
قَابَلُوا دَعْوَتَهُ بِرَمِيهِ بِالسَّفَاهَةِ ، وَالْكَذِبِ ، وَاسْتَنْكَرُوا التَّوْحِيدَ ، وَاجْتَنَبُوا

عَلَيْهِ بِمَا لَا يَصْلَحُ عَقْلاً وَلَا شَرْعاً أَنْ يَكُونَ حُجَّةً ، مِنْ تَقْلِيدِ الْآبَاءِ ،
وَالْأَجْدَادِ ، وَتَحَدُّهُ بِإِتْيَانِهِ بِالْوَعِيدِ ، وَأَجَابَهُمْ هُودٌ عَلَى مَقَالَتِهِمْ ،
وَأَخِرُ الْأَمْرِ أَنْجَى اللَّهُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْمَكْذِبِينَ
بِآيَاتِ اللَّهِ .

١٨٣ - وَأَخْبَرَ عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرْسَالِهِ إِلَى مَدْيَنَ ، وَأَنْ
لَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَأَنْ لَا يَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، وَأَنْ
أَشْرَافَهُمْ وَالْكُبَرَاءَ مِنْهُمْ قَابَلُوا ذَلِكَ بِالتَّهْدِيدِ بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ السَّبْعِيَّةِ ،
وَلَمْ يُرَاعُوا دِينَاً ، وَلَا ذِمَّةً وَلَا حَقّاً ، بَلْ اتَّبَعُوا عُقُولَهُمْ السَّخِيفَةَ ،
وَأَخِرُ الْأَمْرِ أَخَذَتْهُمْ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ .

١٨٤ - وَأَخْبَرَ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَأَنَّهُمْ فِتْنَةُ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ،
وَأَنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِهِمْ حَيْثُ وَفَّقَهُمْ لِلْإِيمَانِ ، وَأَنَّهُمْ اعْتَزَلُوا قَوْمَهُمْ ،
وَأَوَّوْا إِلَى الْكَهْفِ ، وَبَيَّنَّ حَالَهُمْ بَعْدَ أَنْ آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ وَهُوَ أَنَّ
الشَّمْسَ تَحِيلُ عَنْ كَهْفِهِمْ جِهَةَ الْيَمِينِ ، وَعِنْدَ الْغُرُوبِ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشَّمَالِ ، فَلَا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ فِي طُلُوعِهَا ، وَلَا غُرُوبِهَا ، وَبَيَّنَّ أَنَّ
هَذَا يَتَّبِعُهُمْ ، كَانَتْ بِعِنَايَةِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ قِصَّتِهِمْ .

١٨٥ - وَأَخْبَرَ عَنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا أَصَابَهُ الشَّيْطَانُ بِهِ ،
وَنِدَاؤِهِ لِرَبِّهِ وَاسْتِجَابَةِ اللَّهِ لَهُ ، وَكَشْفِ مَا بِهِ مِنْ ضَرٍّ ، وَإِعْطَائِهِ أَهْلَهُ ،
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

١٨٦ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ
وَأَنَّهُ مِنْ وَفَائِهِ بِالْوَعْدِ لَمَّا وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى ذَبْحِ أَبِيهِ لَهُ ، قَالَ
سَعْدُ بْنُ إِدْرِيسَ : إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ وَوَفَى بِذَلِكَ ، وَمَكَّنَ أَبَاهُ مِنَ الذَّبْحِ ،

الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ . . . إلخ .

١٨٧ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِ
الْكَمَالِ ، حَيْثُ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الصُّدِيقِيَّةِ وَبَيْنَ اضْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ وَأَنَّهُ
رَفَعَهُ مَكَانًا عَالِيًا .

١٨٨ - وَأَخْبَرَ عَنْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ
وَاضْطَفَاهُمْ ، وَشَرَّفَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَقَوَّاهُمْ عَلَى الْعَمَلِ لِمَا يُرْضِيهِ ، وَآتَاهُمْ
الْبَصِيرَةَ فِي الدِّينِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ
عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ) .

١٨٩ - وَأَخْبَرَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ،
وَأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ،
وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ أَتْبَاعِهِ وَلَا كَلَامَ غَيْرِهِمْ ،
وَأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ ، عَنْ إِفْسَادِ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ ، وَأَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا
لَهُ وَيَجْعَلُوا لَهُ خَرْجًا عَلَى أَنْ يَسُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَأَنَّهُ قَالَ
مَا أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَبَدِّلُونَهُ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلَبِهِمْ وَهُوَ السُّدُّ عَلَى يَأْجُوجَ
وَمَاجُوجَ بَأَن يَجْعَلَ رَذْمًا .

١٩٠ - وَأَخْبَرَ عَنِ لُقْمَانَ وَأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْحِكْمَةَ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَوْعِظَتِهِ
لَابْنِهِ ، الْمُتَضَمِّنَةَ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ ، وَالْأَمْرِ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَخَذَهُ وَذَكَرَ
جَلَّ وَعَلَا أَمْرَهُ لَهُ بِالشُّكْرِ ، وَأَنَّ شُكْرَ الشَّاكِرِ يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مَنْ
كَفَرَ فَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ فَلَا يَضُرُّ الْكُفْرُ إِلَّا صَاحِبَهُ ، وَأَنَّ مِنْ وَصَايَا

لُقْمَانَ الْقِيَمَةِ لِابْنِهِ الْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ ، وَأَنَّ تِلْكَ الْوَصَايَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يُغْزَمُ عَلَيْهَا ، وَيَتَحَتَّمُ عَلَى الْعِبَادِ فِعْلُهَا ، وَلَا مَحِيصَ مِنْهَا ، ثُمَّ حَدَّثَهُ مِنْ أَشْيَاءَ أُخَرِ أَوْلَاهَا الْكَثِيرُ . . . إلخ .

١٩١ - وَأَخْبَرَ عَنِ الْخَضِرِ ، وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى ، عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِهِ ، وَمَا جَرَى لِمُوسَى وَفَتَاهُ ، فِي سَفَرِهِ إِلَى الْخَضِرِ ، وَمَا تَزَوَّدَاهُ فِي السَّفَرِ ، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

١٩٢ - وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، وَمَا جَرَى مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، مِنَ التَّكْذِيبِ لِلرُّسُلِ ، وَمَا قَالَهُ الرُّسُلُ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ حِينَمَا تَوَعَّدُوا الرُّسُلَ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِمْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ ، لِيَنْصَحَ قَوْمَهُ ، وَيَحْضِثَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ ، وَيَذُبُّ عَنِ الرُّسُلِ ، وَأَنَّهُ أَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُ مَا اخْتَارَ لَهُمْ إِلَّا مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُشْبِهُ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَافَعَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَا حَلَّ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ ، مِنَ النِّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ .

١٩٣ - وَأَخْبَرَ عَنْ سَبَأٍ ، وَمَا أَمَدَّهُمْ بِهِ مِنَ الْبَسَاتِينِ ، وَالْمِيَاهِ الْعَظِيمَةِ ، وَالثَّمَارِ الَّتِي بِهَا يَتَنَعَّمُونَ ، وَيَخْفِضُ لَهُمْ بِهَا الْغَيْطَةُ ، وَالسُّرُورُ وَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَبِنِعْمَتِهِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَذَهَبَ بِالْبَسَاتِينِ ، وَأَهْلَكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَبُدِّلُوا بِتِلْكَ الْجَنَانِ ، وَالْبَسَاتِينِ الْحَسَنَةِ ، بُسْتَانَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا أَشْجَارُ نَافِئَةٌ ، لَا يُؤْبَهُ لَهَا ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

١٩٤ - وَأَخْبَرَ عَنْ قَارُونََ وَمَا أُوتِيَهِ مِنْ كُنُوزٍ ، وَأَنَّ مَفَاتِحَهُ تَنُوءُ بِالْعُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ، وَأَنَّهُ بَغَى عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ نَصَحُوهُ ، بَعْدَهُ نَصَائِحَ ، وَأَنَّهُ قَابَلَهَا بِالْإِبَاءِ ، وَكُفِّرَانَ النِّعْمَةِ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَرَّةً عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ . وَأَخْبَرَ عَنْ مَا قَالَ لَهُ مُرِيدُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَمَا قَالَ لَهُمْ أُولُوا الْعِلْمِ ، وَذَكَرَ مَالَ بَطْرِهِ وَأَشْرِهِ ، وَمَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْوَبَالِ ، وَالنَّكَالِ ، وَهُوَ الْخَسْفُ بِهِ وَبِدَارِهِ .

وقال الله تعالى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتُنَا) وقال (وَمَا كُنْتُ سَبِّ الْغُرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ، وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ) وقال (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) وقال تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا . فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقال تعالى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) الآية .

وقال تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) وقال (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يَعْلَمْهَا عَنْ مُشَاهَدَةٍ وَلَكِنْ أَعْلَمَهُ إِيَّاهَا الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وقال تعالى (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهَا وَفِي بَعْضِ مَا ذَكَرْنَا كِفَايَةً تَامَةً لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَهَا وَيَتَأَمَّلَهَا لِيَقْوَى إِيْمَانُهُ بِاللَّهِ وَيُرْسِلِهِ وَبِمَا أَخْبَرُوا بِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأُمَّته من آياته ، وكرامات صالحيه أُمَّته من آياته .

وذلك بتدبر سيرته من ولده إلى أن بعث ومن حين بعث إلى أن مات وبتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب .

فلم يأت نبي من بعد إبراهيم إلا من ذريته وجعل له ابنين إسماعيل وإسحاق وذكر في التوراة هذا وهذا وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل .

ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم ثم هو من قريش صفوة بني إبراهيم من بني هاشم صفوة قريش .

ومن مكة أم القرى وبلده البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه ، ولم يزل مخجوجاً من عهد إبراهيم مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف ، وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذكور .

مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ومن آمن به

وَكَفَرَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، لَا يُعْرِفُ لَهُ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ لَا فِي أَقْوَالِهِ وَلَا فِي أَعْمَالِهِ وَلَا فِي أَخْلَاقِهِ وَلَا جُرِّبَتْ عَلَيْهِ كِذْبَةٌ قَطُّ وَلَا ظُلْمٌ وَلَا فَاجِشَةٌ .

وَكَانَ خُلُقُهُ وَصُورَتُهُ مِنْ أَكْمَلِ الصُّوَرِ وَأَتْمَمِهَا وَأَجْمَعِهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ ، وَكَانَ أَمِيًّا مِنْ قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَا يَعْرِفُ لَا هُوَ وَلَا هُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ « التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ » .

وَلَمْ يَقْرَأْ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ النَّاسِ وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا وَلَمْ يَدَّعِ بِنُبُوَّةٍ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَاتَى بِأَمْرِ هُوَ أَعْجَبُ الْأُمُورِ وَأَعْظَمُهَا وَبِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِنَظِيرِهِ .

وَأَخْبَرَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدِهِ وَلَا فِي قَوْمِهِ مَنْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ وَلَمْ يُعْرِفْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، لَا فِي مِصْرِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَلَا فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ مَنْ أَتَى بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ ظَهَرَ كَظُهُورِهِ .

وَلَا مَنْ أَتَى مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَلَا مَنْ دَعَا إِلَى شَرِيعَةٍ أَكْمَلَ مِنْ شَرِيعَتِهِ ، وَلَا مَنْ ظَهَرَ دِينُهُ عَلَى الْأَذْيَانِ كُلِّهَا بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ وَبِالْيَدِ وَالْقُوَّةِ كَظُهُورِهِ .

ثُمَّ إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ الضُّعَفَاءُ مِنَ النَّاسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرِّيَاسَةِ وَعَادُوهُ وَسَعَوْا فِي هَلَاكِهِ وَهَلَاكِ مَنْ تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، كَمَا كَانَ الْكُفَّارُ يَفْعَلُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ .

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيهِمْ وَلَا جِهَاتٍ يُؤَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا وَلَا كَانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ وَالْجَاهُ وَالْمَالُ مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَقَدْ آذَوْا أَتْبَاعَهُ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى وَهُمْ صَابِرُونَ مُحْتَسِبُونَ لَا يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ لَمَّا خَالَطَ قُلُوبُهُمْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي وإغراض المغرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه. فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضعة عشرة سنة فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلديهم وعلى الجهاد معه .

فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ثم أذن له في الجهاد ثم أمر به .

ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ عليه كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأبرهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقير وقلّة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة .

وهو على ذلك كله ملزم لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام لا يعرفون آخره ولا معاداً .

فصاروا أعلم أهل الأرض وأذنبهم وأعدلهم وأفضلهم وهذه آثار

عَلَيْهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَأَثَارُ غَيْرِهِمْ يَعْرِفُ الْعُقَلَاءُ فَرَقَ مَا بَيْنَ
الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ ظُهُورِ أَمْرِهِ وَطَاعَةِ الْخَلْقِ لَهُ وَتَقْدِيرِهِمْ
لَهُ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ مَاتَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا مَتَاعًا
وَلَا دَابَّةً إِلَّا بَغْلَتَهُ وَسَلَاحَهُ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَقًا
مِنْ شَعِيرٍ ابْتِاعَهَا لِأَهْلِهِ .

وَكَانَ بِيَدِهِ عَقَارٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْبَاقِي يَصْرِفُهُ فِي مَصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ فَحَكَمَ بِأَنَّهُ لَا يُورَثُ وَلَا يَأْخُذُ وَرَثَتُهُ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ فِي كُلِّ
وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَفُتُونِ الْكَرَامَاتِ مَا يَطُولُ وَصْفُهُ .

وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَشْرَعُ الشَّرِيعَةَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ .

أَكْمَلَ اللَّهُ دِينَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ وَجَاءَتْ شَرِيعَتُهُ أَكْمَلَ شَرِيعَةٍ لَمْ يَبْقَ
مَعْرُوفٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ إِلَّا أَمْرٌ بِهِ وَلَا مُنْكَرٌ تَعْرِفُ الْعُقُولُ أَنَّهُ
مُنْكَرٌ إِلَّا نَهْيٌ عَنْهُ .

لَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ
لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَأَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا مِنْهَا كَمَا حُرِّمَ فِي شَرْعِ غَيْرِهِ
وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ لَمْ يُحِلَّ مِنْهَا شَيْئًا كَمَا اسْتَحَلَّهُ غَيْرُهُ .

وَجَمَعَ مَحَاسِنَ مَا عَلَيْهِ الْأُمَمُ فَلَا يُذَكَّرُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ
نَوْعٌ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ مَلَائِكَتِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ بِهِ
عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ وَأَخْبَرَ بِأَشْيَاءَ لَيْسَتْ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ .

وَأَمَّتْهُ أَكْمَلُ الْأُمَمِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ فَإِذَا قِيَسَ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُ سَائِرِ الْأُمَمِ
ظَهَرَ فَضْلُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ قِيَسَ دِينُهُمْ وَعِبَادَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلَّهِ بِغَيْرِهِمْ ظَهَرَ

أَنَّهُمْ أَذِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَإِذَا قِينَسَ شَجَاعَتُهُمْ وَجِهَادُهُمْ وَصَبْرُهُمْ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ظَهَرَ أَنَّهُمْ أَعْظَمُ جِهَاداً وَأَشْجَعُ قُلُوباً وَهَذِهِ الْفَضَائِلُ بِهِ نَالُوهَا وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وَهُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهَا أَه .

وقال آخر :

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَاهَدَ أَحْوَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْنَعَ إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَعَادَاتِهِ وَسَجَايَاهُ وَسِيَاسَتِهِ لِأَصْنَافِ الْخَلْقِ وَهِدَايَتِهِ إِلَى ضَبْطِهِمْ وَتَأْلُفِهِ أَصْنَافَ الْخَلْقِ وَقُوْدِهِ لِيَأْهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ .

مَعَ مَا يُحْكِي مِنْ عَجَائِبِ أَجْوِبَتِهِ فِي مَضَائِقِ الْأَسْئَلَةِ وَبَدَائِعِ تَذْيِيرَاتِهِ فِي مَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَحَاسِنِ إِشَارَاتِهِ فِي تَفْصِيلِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ الَّتِي يَعْجُزُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُقَلَاءُ عَنْ إِدْرَاكِ أَوَائِلِ دَقَائِقِهَا فِي طُولِ أَعْمَارِهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ فِي أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُكْتَسَباً بِحِيلَةٍ تَقُومُ بِهَا الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ .

بَلْ لَا يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاسْتِمْدَادِ مِنْ تَأْيِيدِ سَمَاوِيٍّ وَقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ وَأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ لَا يَتَصَوَّرُ لِكَذَابٍ وَلَا مُلْبَسٍ بَلْ كَانَتْ شَمَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ شَوَاهِدَ قَاطِعَةً بِصِدْقِهِ حَتَّى أَنَّ الْعَرَبِيَّ الْقَحَّ كَانَ يَرَاهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا وَجْهٌ كَذَابٍ .

فَكَانَ يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ بِمَجْرَدِ رُؤْيَيْهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أَخْلَاقَهُ وَمَارَسَ أَحْوَالَهُ فِي جَمِيعِ مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ أَه .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا حُبَّكَ وَسَهْلْ عَلَيْنَا طَاعَتَكَ وَفَرِّغْنَا لِلتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِكَ وَاجْعَلْ لَنَا رِضَاكَ مَوْثِقاً وَعَاقِبَةً وَاغْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إِلَى اللَّهِ نَشْكُوا قَسْوَةً وَتَوَحُّدًا وَنَرْجُوهُ غُفْرَانًا فَرُبُّكَ أَوْحَدُ
وَدُونَكَ مِنِّي النُّصْحَ يَا ذَا الْمُوَحِّدِ قُمْ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ
إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعَمْرُ يَنْفَدُ

تَيْقِظُ وَتُبْ فَاللَّهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ وَلِإِنِّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ وَمُلَازِمٌ
فَقُمْ لَا تَنَمْ فَالْشَّهْمُ بِاللَّيْلِ قَائِمٌ أَرَاكَ بِطُولِ اللَّيْلِ وَيَحْكُ نَائِمٌ
وَعَيْرُكَ فِي مِخْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَرْغَوِي أَوْ تُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سِوَاءَ قَائِمٍ ذَا وَرَاقِدٍ وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَالُ مَا نَالَ زَاهِدُ
مِنَ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا وَالتَّقِيُّونَ صُومٌ وَنُمنَّا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ قُومٌ
وَلَوْ مُفْلِسٌ يَذْرِي وَهْلَ أَيْنَ خِيَمُوا لَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
إِذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَفَرِّدُ

وَأَسْبَلُ فِي الدَّاجِي دُمُوعًا بِعَبْرَةٍ وَتَابَ وَأَبْدَى الْخَوْفَ مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ
وَقَامَ وَصَلَّى خَائِفًا فِي مَحَبَّةٍ بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ يُعْبَدُ

فَحَازِرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَذْغِ صَلَّاهَا فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِي لَوْ لِيَخْلَهَا
فَسَافِرٌ وَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَخَلَّاهَا وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدْوُمُ لِأَهْلِهَا
لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلَّدٌ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعَ وَأَيْنَ التَّهَجُّدُ أَفِي سِنَةِ كُنَّا أَمِ الْقَلْبُ جَلَمَدُ

تَيْقُظُ أَخِي وَاحْدَرْ وَإِيَّاكَ تَرْقُدُ أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ
 فَلَا حَرًّا يَطْفَى وَلَا الْجَمْرُ يَخْمَدُ
 أَمَا لَوْ عَلِمْنَاهَا نَهَضْنَا إِذَا شَطَى نَعَجُ وَبَغَضُ الْقَوْمِ لِلْبَغِضِ أَيْقَظَا
 وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنًا بِتَذْكَارِنَا اللَّطَى أَلَا إِنَّهَا نَارٌ يُقَالُ لَهَا لَطَى
 فَتَخْمَدُ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا تُوقَدُ
 عَلَى الْخَمْسِ تَوَدِّعًا بَوَقْتِ فَصَلَّهَا وَحَافِظُ عَلَى تِلْكَ النَّوَافِلِ كُلَّهَا
 وَتُبْ عَنْ ذُنُوبٍ لَا تَذِلُّ بِذِلَّهَا فَيَا رَاكِبَ الْعِصْيَانِ وَيَحْكُ خَلَّهَا
 سَتُخْشَرُ عَطْشَانَا وَوَجْهَكَ أَسْوَدُ
 أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي عِلْمٍ غَيْبِهِ لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِنَ الْإِلَهِيِّ بِقُرْبِهِ
 سَمَوْ بِالْهُدَى وَالنَّاسُ مِنْ فَوْقِ تَرْبِهِ فَكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
 وَآخِرُ بِالذَّنْبِ الثَّقِيلِ مُقِيدُ
 إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ الْعِبَادِ وَأَنْجُمُ وَقُرْبَتِ النَّارُ الْعَظِيمَةُ تُضْرَمُ
 وَكُبْكِبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا مُسَلَّمُ
 فَهَذَا سَعِيدٌ فِي الْجَنَانِ مَنْعَمُ وَهَذَا شَقِي فِي الْجَحِيمِ مَخْلَدُ
 وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحُكْمُ مِنْ رَبِّنَا مَضَى وَلَا بَدَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْحَشْرِ يَمْتَضِي
 إِلَهِي انلني العفو منك مع الرضى إِذَا نَصَبَ الْمِيزَانَ لِلْفَصْلِ وَالْقَضَى
 وَقَدْ قَامَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
 نَبِي الْهُدَى الْمَعْصُومُ عَنْ كُلِّ زَلَّةٍ شَفِيعُ الْوَرَى أَكْرَمُ بِهَا مِنْ فَضِيلَةٍ
 وَمَلَنَّهُ يَا صَاحِبِي خَيْرَ مَلَةٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَارَ فَرْقَدُ (١)

(١) الفرقد : النجم الذي يهتدى به كما في القاموس ٤٨٢/٣ مادة (الفرقد) اه مصحح .

(فصل)

وقال الماوردي رحمه الله في ذكر خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم وفضائله وشرف أخلاقه وشماله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته :

فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه : كمال الخلق وكمال الخلق وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال .

فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف أحدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقدير والتسليم .

وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيئته حين أتوه مع ارتياعهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة .

فكان صلى الله عليه وسلم في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وإن لم يتعاطم بأهبة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفاً وبالوظافة - أي السهولة - معروفاً .

والثاني : في الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة .

وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظما .

والثالث : حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره صلى الله عليه وسلم

مُسْتَوِيًّا عَلَى الْقُلُوبِ وَلِذَلِكَ اسْتَحْكَمَتْ مُصَاحَبَتُهُ فِي النُّفُوسِ حَتَّى لَمْ يَنْفِرْ مِنْهُ مُعَانِدٌ وَلَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ مُبَاعِدٌ إِلَّا مَنْ سَاقَهُ الْحَسَدُ إِلَى شِقْوَتِهِ وَقَادَهُ الْجِرْمَانُ إِلَى مُخَالَفَتِهِ .

والرَّابِعُ : مِثْلُ النُّفُوسِ إِلَى مُتَابَعَتِهِ وَانْقِيَادَهَا لِمُوَافَقَتِهِ وَثَبَاتُهُ عَلَى شِدَائِدِهِ وَمُصَابَرَتِهِ ، فَمَا شَدَّ عَنْهُ مَعَهَا مَنْ أَخْلَصَ وَلَا نَدَّ عَنْهُ فِيهَا مَنْ تَخَصَّصَ .

وهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ دَوَائِي السَّعَادَةِ وَقَوَانِينِ الرِّسَالَةِ وَقَدْ تَكَامَلَتْ فِيهِ فَكَمَلْ لِمَا يُوَارِثُهَا وَاسْتَحَقَّ مَا يَقْتَضِيهَا .

وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّانِي فِي كَمَالِ أَخْلَاقِهِ فَيَكُونُ بِسِتِّ خِصَالٍ :

(لِإِحْدَاهُنَّ) : رَجَاحَةُ عَقْلِهِ وَصِحَّةُ وَهْمِهِ وَصِدْقُ فِرَاسَتِهِ وَقَدْ دَلَّ عَلَى وَفُورِ ذَلِكَ فِيهِ صِحَّةُ رَأْيِهِ وَصَوَابُ تَذْيِيرِهِ وَحُسْنُ تَأْلُفِهِ .

وَأَنَّهُ مَا اسْتُغْفِلَ فِي مَكِيدَةٍ وَلَا اسْتَعْجَزَ فِي شَدِيدَةٍ بَلْ كَانَ يَلْحَظُ الْأَعْجَازَ فِي الْمَبَادِيءِ فَيَكْشِفُ عُيُوبَهَا وَيَحِلُّ خُطُوبَهَا وَهَذَا لَا يَنْتَعِظُ إِلَّا بِأَصْدَقِ وَهْمٍ وَأَوْضَحِ جَزْمٍ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَّةُ : ثَبَاتُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَهُوَ مَطْلُوبٌ وَصَبْرُهُ عَلَى الْبُاسِ وَالضَّرَاءِ وَهُوَ مَكْرُوبٌ وَمَحْرُوبٌ وَنَفْسُهُ فِي اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ سَاكِئَةٌ لَا يَخُورُ فِي شَدِيدَةٍ وَلَا يَسْتَكِينُ لِعَظِيمَةٍ وَقَدْ لَقِيَ بِمَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا يُشِيبُ النَّوَاصِي وَيَهْدُ الصِّيَاصِي وَهُوَ مَعَ الضُّعْفِ يُصَابِرُ صَبْرَ الْمُسْتَعْلِي وَيَثْبُتُ ثَبَاتَ الْمُسْتَوَلِي .

وَالْخَصْلَةُ الثَّلَاثَةُ : زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِعْرَاضُهُ عَنْهَا وَقَنَاعَتُهُ بِالْبَلَاحِ

مِنْهَا فَلَمْ يَمَلْ إِلَى غَضَارَتِهَا وَلَمْ يَلْ لِحَلَاوَتِهَا وَقَدْ مَلَكَ مِنْ أَقْصَى
الْحِجَازِ إِلَى عِذَارِ الْعِرَاقِ وَمِنْ أَقْصَى الْيَمَنِ إِلَى شَحْرِ عُمَانَ .

وَهُوَ أَزْهَدُ النَّاسِ فِيمَا يُقْتَنَى وَيُدْخَرُ وَأَعْرَضَهُمْ عَمَّا يُسْتَفَادُ وَيُحْتَكَرُ
لَمْ يُخْلَفْ عَيْنًا وَلَا دَبْنًا وَلَا حَفَرَ نَهْرًا وَلَا شَيْدَ قَصْرًا وَلَمْ يُورَثْ وَلَدُهُ
وَأَهْلُهُ مَتَاعًا وَلَا مَالًا لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ الرِّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا كَمَا صَرَفَ نَفْسَهُ
عَنْهَا فَيَكُونُوا عَلَى مِثْلِ حَالِهِ فِي الزُّهْدِ فِيهَا .

وَحَقِيقُ بَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بِهَذِهِ الزَّهَادَةِ حَتَّى اجْتَذَبَ أَصْحَابَهُ
إِلَيْهَا أَنْ لَا يُتَّهَمَ بِطَلَبِهَا وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي ادِّعَاءِ الْآخِرَةِ وَيَقْنَعَ فِي
الْعَاجِلِ وَقَدْ سَلِبَ الْآجِلَ بِالْمَيْسُورِ النَّزْرَ وَرَضِيَ بِالْعَيْشِ الْكَدِيرِ .

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : تَوَاضَعُهُ لِلنَّاسِ وَهُمْ أَتْبَاعُ وَخَفَضُ جَنَاحِهِ لَهُمْ
وَهُوَ مُطَاعٌ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَجْلِسُ عَلَى التُّرَابِ وَيَمْتَزِجُ بِأَصْحَابِهِ
وَجُلَسَائِهِ فَلَا يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ إِلَّا بِإِطْرَاقِهِ وَحَيَاتِهِ ، فَصَارَ بِالتَّوَاضُّعِ مُتَمَيِّزًا
وَبِالتَّذَلُّلِ مُتَعَزِّيًا .

وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَارْتَاعَ مِنْ هَيْبَتِهِ فَقَالَ خَفَضْ
عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَيْدَ بِمَكَّةَ وَهَذَا مِنْ شَرَفِ
أَخْلَاقِهِ وَكَرِيمِ شَيْمِهِ فَهِيَ غَرِيزَةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا وَجِبِلَّةٌ طُبِعَ بِهَا لَمْ تَنْدُرْ
فَتَعْدُ وَلَمْ تَخْصُرْ فَتُحَدِّ .

وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ عَنْ طَيْشِ يَهْزُهُ أَوْ خَرَقِ يَسْتَفِزُهُ
فَقَدْ كَانَ أَحْلَمَ فِي النَّفَارِ مِنْ كُلِّ حَلِيمٍ وَأَسْلَمَ فِي الْخِصَامِ مِنْ كُلِّ سَلِيمٍ .
وَقَدْ مُنِّيَ بِجَفْوَةِ الْأَعْرَابِ فَلَمْ يُوجَدْ مِنْهُ نَادِرَةٌ وَلَمْ يُحْفَظْ عَلَيْهِ
بَادِرَةٌ وَلَا حَلِيمٌ غَيْرُهُ إِلَّا دُوْ عَثْرَةٌ وَلَا وَقُورٌ سِوَاهُ إِلَّا دُوْ هَفْوَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى عَصَمَهُ مِنْ نَزَعِ الْهَوَى وَطَيْشِ الْقُدْرَةِ لِهَفْوَةٍ أَوْ عَثْرَةٍ لِيَكُونَ بِأَمْتِهِ رَوْوْفًا وَعَلَى الْخَلْقِ عَطُوفًا قَدْ تَنَاوَلَتْهُ قُرَيْشٌ بِكُلِّ كَبِيرَةٍ وَقَصَدَتْهُ بِكُلِّ جَرِيرَةٍ وَهُوَ صَبُورٌ عَلَيْهِمْ وَمُعْرِضٌ عَنْهُمْ .

وما تَفَرَّدَ بِذَلِكَ سَفَهَاؤُهُمْ عَنْ حُلَمَانِهِمْ وَلَا أَرَادِلُهُمْ دُونَ عَظَمَانِهِمْ . بَلْ تَمَالًا عَلَيْهِ الْجَلَّةُ وَالْدُّونُ ، فَكُلَّمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْحَّ - كَانَ عَنْهُمْ أَغْرَضٌ وَأَصْفَحَ حَتَّى قَهَرَ فَعَفَا ، وَقَدِرَ فَغَفَرَ .

(وَقَالَ لَهُمْ) حِينَ ظَفِرَ بِهِمْ عَامَ الْفَتْحِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مَا ظَنُّكُمْ بِي قَالُوا ابْنُ عَمِّ كَرِيمٍ فَإِنْ تَعَفَّ فَذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ وَإِنْ تَنْتَقِمَ فَقَدْ أَسَانَا فَقَالَ بَلْ أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ « لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

وقال : اللَّهُمَّ قَدْ أَذَقْتَ أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالًا فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوَالًا وَأَتْنَهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَقَدْ بَقَرَتْ بَطْنَ عَمِّ حَمْزَةَ وَلَا كِتْ كَبْدَهُ فَصَفَحَ عَنْهَا وَأَعْطَاهَا يَدَهُ لِيَبْعَتَهَا .

فَإِنْ قِيلَ فَقَدْ ضَرَبَ رِقَابَ بَنِي قُرَيْظَةَ صَبْرًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُمْ نَحْوُ سَبْعُمِائَةٍ فَأَيْنَ مَوْضِعُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ قِيلَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ كَانَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ رَضُوا بِتَحْكِيمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَلَيْهِمْ فَحَكَمَ أَنَّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمُوسَى قُتِلَ وَمَنْ لَمْ تَجْرَ عَلَيْهِ اسْتُرِقَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا حُكْمُ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ ، فَلَمْ يَجْزُ أَنْ يَغْفُو عَنْ حَقِّ وَجَبَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَأِنَّمَا يَخْتَصُّ عَفْوُهُ بِحَقِّ نَفْسِهِ .

وَالْخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : حِفْظُهُ لِلْعَهْدِ وَوَفَاؤُهُ بِالْوَعْدِ فَإِنَّهُ مَا نَقَضَ لِمُحَافِظِ عَهْدٍ وَلَا أَخْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعَدًا يَرَى الْغَدَرَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ

والإخلاف من مساويء الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما
الأضعف حفظاً لعهديه ووفاء بوعديه حتى يتبدى معاهدوه بنقضه فيجعل
الله تعالى له مخرجاً كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل
قريش بصلح الحديبية فيجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة .
فهذه ست خصال تكاملت في خلقه ، فضله الله تعالى على جميع
خلقه

وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله فمعتبر بشمان خصال :
(إحداهن) : ما أوتي من الحكمة البالغة ، وأعطى من العلوم
الجمّة الباهرة ، وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتاباً ولا درس علماً
ولا صحب عالماً ولا معلماً فاتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتيان
ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يغتر فيه بزلل في قول أو عمل .

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سنناً حملوا الناس على
التدين بها حين علموا أنه « لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له
ويعملون به » فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر .

والخصلة الثانية : حفظه لما أطلع الله تعالى عليه من قصص
الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يغرب عنه
منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير .

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك
إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آله
ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها
مبعوثاً وعلى القيام بها مخلصاً .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : إِحْكَامُهُ لِمَا شَرَعَ بِأَظْهَرِ دَلِيلٍ وَبَيَّانُهُ بِأَوْضَحِ تَغْلِيلٍ حَتَّى لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ مَا يُوجِبُهُ مَعْقُولٌ وَلَا دَخَلَ فِيهِ مَا تَدْفَعُهُ الْعُقُولُ .
وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَاخْتَصِرَتْ لِي الْحِكْمَةُ اخْتِصَاراً » لِأَنَّهُ نَبَّهَ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ فَكَفَّ عَنْ الْإِطَالَةِ وَكَشَفَ عَنِ الْجَهَالَةِ وَمَا تَبَسَّرَ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ عَلَيْهِ مُعَانٍ وَإِلَيْهِ مُقَادٌّ .

والخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَدَعَا إِلَيْهِ مِنْ مُسْتَحْسَنِ الْأَدَابِ وَحَثَّ عَلَيْهِ مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَنَدَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّعَطُّفِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْأَيْتَامِ .

ثُمَّ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ التَّبَاغُضِ وَالتَّحَاسُدِ وَكَفَّ عَنْهُ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالتَّبَاعِدِ لِتَكُونَ الْفَضَائِلُ فِيهِمْ أَكْثَرَ وَمَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ بَيْنَهُمْ أَنْشَرَ ، وَمُسْتَحْسَنُ الْأَدَابِ عَلَيْهِمْ أَظْهَرَ وَتَكُونَ إِلَى الْخَيْرِ أَسْرَعَ وَمِنَ الشَّرِّ أَمْنَعِ .

فَيَتَحَقَّقُ فِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » فَلَزِمُوا أَمْرَهُ وَاتَّقُوا زَوَاجِرَهُ فَتَكَامَلَ بِهِمْ صَلَاحُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ حَتَّى عَزَّ بِهِمُ الْإِسْلَامُ بَعْدَ ضَعْفِهِ وَذَلَّ بِهِمُ الشِّرْكُ بَعْدَ عِزِّهِ فَصَارُوا أُمَّةً أَبْرَاراً وَقَادَةً أَخْيَاراً .

والخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : وَضُوحُ جَوَابِهِ إِذَا سُئِلَ وَظُهُورُ حِجَابِهِ إِذَا جَادَلَ لَا يَخْصُرُهُ عِيٌّ وَلَا يَقْطَعُهُ عَجْزٌ وَلَا يُعَارِضُهُ خَصْمٌ فِي جِدَالٍ إِلَّا كَانَ جَوَابُهُ أَوْضَحَ وَحِجَابُهُ أَرْجَحَ .

والخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : أَنَّهُ مَحْفُوظُ اللِّسَانِ مِنْ تَحْرِيفٍ فِي قَوْلٍ وَاسْتِزْسَالٍ فِي خَبَرٍ يَكُونُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْسُوبًا وَلِلصِّدْقِ مُجَانِبًا فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَشْهُورًا

بِالصُّدْقِ فِي خَبَرِهِ فَاشْبَاهُ وَكَثِيرًا حَتَّى صَارَ بِالصُّدْقِ مَرْقُومًا وَبِالْأَمَانَةِ مَرْسُومًا .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ بِأَسْرِهَا تَتَبَقُّنُ صِدْقَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَجَهَرُوا بِتَكْذِيبِهِ فِي اسْتِذْعَائِهِمْ إِلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ حَسَدًا وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ عِنَادًا وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ اسْتِيعَادًا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا .

وَلَوْ حَفِظُوا عَلَيْهِ كِذْبَهُ نَادِرَةً فِي غَيْرِ الرِّسَالَةِ لَجَعَلُوهَا دَلِيلًا عَلَى تَكْذِيبِهِ فِي الرِّسَالَةِ ، وَمَنْ لَزِمَ الصُّدْقَ فِي صِغَرِهِ كَانَ لَهُ فِي الْكِبَرِ الْأَزَمُ وَمَنْ عُصِمَ مِنْهُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ كَانَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْصَمُ وَحَسْبُكَ بِهَذَا دَفْعًا لِجَاحِدٍ وَرَدًّا لِمُعَانِدٍ .

وَالْخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : تَخْرِيرُ كَلَامِهِ فِي التَّوْحِي بِهِ إِبَانَ حَاجَتِهِ وَالْاِقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهِ فَلَا يَسْتَرْسِلُ فِيهِ هَذَرًا وَلَا يُحْجِمُ عَنْهُ حُضْرًا وَهُوَ فِيمَا عَدَا . حَالَتِي الْحَاجَةِ وَالْكِفَايَةِ أَجْمَلَ النَّاسِ صَمْتًا وَأَحْسَنَهُمْ سَمْتًا .

وَلِذَلِكَ حُفِظَ كَلَامُهُ حَتَّى لَمْ يَخْتَلْ وَظَهَرَ رَوْنَقُهُ حَتَّى لَمْ يَغْتَلِ وَاسْتَعْدَبَتْهُ الْأَقْوَاهُ حَتَّى بَقِيَ مَحْفُوظًا فِي الْقُلُوبِ مُدَوَّنًا فِي الْكُتُبِ فَلَنْ يَسْلَمَ الْإِكْتَارُ مِنَ الزَّلَلِ وَلَا الْهَذَرُ مِنَ الْمَلَلِ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ أَفْصَحَ النَّاسِ لِسَانًا وَأَوْضَحَهُمْ بَيَانًا وَأَوْجَزَهُمْ كَلَامًا وَأَجَزَلَهُمْ أَلْفَاظًا وَأَصَحَّهُمْ مَعَانِي لَا يَظْهَرُ فِيهِ هُجْنَةُ التَّكْلِيفِ وَلَا يَتَخَلَّلُهُ فِيهِقَةُ التَّعَسُّفِ .

وَقَدْ دُونَ كَثِيرٌ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ وَمِنْ كَلَامِهِ الَّذِي لَا يُشَاكَلُ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَاجَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ إِخْصَاءٌ وَلَا يَبْلُغُهُ اسْتِقْصَاءٌ .

وَلَوْ مُزَجَّ كَلَامُهُ بِغَيْرِهِ لَتَمَيَّزَ بِأُسْلُوبِهِ وَلَظَهَرَ فِيهِ آثَارُ التَّنَافُرِ
فَلَمْ يَلْتَبِسْ حَقُّهُ مِنْ بَاطِلِهِ وَلَبَانَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَاظِياً
لِلْبَلَاغَةِ وَلَا مُخَالِطاً لِأَهْلِهَا مِنْ خُطْبَاءَ أَوْ شعراءَ أَوْ فُصَحَاءَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ
غَرَائِزِ طَبْعِهِ وَبِدَايَةِ جِبِلَّتِهِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِغَايَةِ تَرَادُّ وَحَادِثَةِ تُشَادُّ .

وَأَمَّا الْوَجْهُ الرَّابِعُ فِي فَضَائِلِ أَعْمَالِهِ فَمُخْتَبَرٌ بِشَمَانِ خِصَالِ :

(اخذاهن) حُسْنُ سِيرَتِهِ وَصِحَّةُ سِيَاسَتِهِ فِي دِينِهِ نَقَلَ بِهِ الْأُمَّةَ عَنْ
مَالُوفٍ وَصَرَفَهُمْ بِهِ عَنْ مَعْرُوفٍ إِلَى غَيْرِ مَعْرُوفٍ فَأَذْغَنَتْ بِهِ النُّفُوسَ
طَوْعاً وَانْقَادَتْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَشَدِيدِ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ إِلَّا لِمَنْ كَانَ مَعَ التَّائِيْدِ
الْإِلَهِيِّ مُعَاناً بِحَزْمٍ صَائِبٍ وَعَزْمٍ ثَاقِبٍ .

وَحَسْبُكَ بِمَا اسْتَقَرَّتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى الْأَبْدِ حَتَّى انْتَقَلَ عَنْ سَلَفٍ إِلَى
خَلْفٍ يَزْدَادُ فِيهِمْ حِلَاوَتُهُ وَيَشْتَدُّ فِيهِمْ جِدَّتُهُ وَيَرَوْنَهُ نِظَاماً لِأَعْصَارِ
تَنْقَلِبُ صُرُوفِهَا وَيَخْتَلِفُ مَالُوفُهَا أَنْ يَكُونَ لِمَنْ قَامَ بِهِ بَرَهَاناً وَلِمَنْ
ارْتَابَ بِهِ بَيَاناً .

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَّةُ : أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ رَغْبَةٍ مِنْ اسْتِمَالِ وَرَهْبَةٍ مِنْ اسْتِطَاعِ
حَتَّى اجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ عَلَى نُصْرَتِهِ وَقَامُوا بِحُقُوقِ دَعْوَتِهِ رَغْباً فِي عَاجِلِ
وَأَجَلِ وَرَهْباً مِنْ زَائِلٍ وَنَازِلٍ ، لِاخْتِلَافِ الشِّيمِ وَالطُّبَاعِ فِي الانْقِيَادِ
الَّذِي لَا يَنْتَظِمُ بِأَحَدِهِمَا وَلَا يَسْتَدِينُ إِلَّا بِهِمَا فَلِذَلِكَ صَارَ الدِّينُ بِهِمَا
مُسْتَقِراً وَالصَّلَاحُ بِهِمَا مُسْتَمِراً .

وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ عَدَلَ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ عَنِ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ
إِلَى التَّوَسُّطِ وَخَيْرِ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا وَلَيْسَ لِمَا جَاوَزَ الْعَدْلَ حَظٌّ مِنْ رُشْدٍ
وَلَا نَصِيبٌ مِنْ سَدَادٍ .

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَمِلْ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا إِلَى رَفِيفِهَا
وَأَمَدَهُمْ فِيهَا بِالْإِعْتِدَالِ ، وَقَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ
وَلَا آخِرَتُهُ لِدُنْيَاهُ وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ » وَهَذَا صَحِيحٌ
لِأَنَّ الْإِنْقِطَاعَ إِلَى أَحَدِهِمَا اخْتِلَالٌ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا إِعْتِدَالٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نِعَمَ الْمَطِيَّةُ الدُّنْيَا فَارْتَحِلُوهَا تُبَلِّغُكُمْ
الْآخِرَةَ » وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْهَا يَتَزَوَّدُ لِآخِرَتِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ فِيهَا
مِنْ طَاعَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَخْلُو تَارِكُهَا مِنْ أَنْ يَكُونَ مَخْرُومًا مُضَاعًا أَوْ مَرْحُومًا
مُرَاعَى وَهُوَ فِي الْأَوَّلِ كُلُّ وَفِي الثَّانِي مُسْتَدَلٌّ .

وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ : تَصَدِّيقُهُ لِمَعَالِمِ الدِّينِ وَنَوَازِلِ الْأَحْكَامِ حَتَّى
أَوْضَحَ لِلْأُمَّةِ مَا كُلَّفُوهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَحِلُّ وَمَا يَحْرُمُ مِنْ
مُبَاحَاتٍ وَمَحْظُورَاتٍ وَفَصَّلَ لَهُمْ مَا يَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ مِنْ عُقُودٍ وَمَنَاقِيعَ
وَمُعَامَلَاتٍ .

حَتَّى اخْتَجَّ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُعَامَلَاتِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ لِشَرْعِهِ
وَلَمْ يَخْتَجْ شَرْعُهُ إِلَى شَرْعٍ غَيْرِهِ ثُمَّ مَهَّدَ لِشَرْعِهِ أَصُولًا تَدُلُّ عَلَى الْحَوَادِثِ
الْمُغْفَلَةِ وَيُسْتَنْبِطُ لَهَا الْأَحْكَامَ الْمَعْلَلَةَ فَأَغْنَى عَنْ نَصِّ بَعْدَ ارْتِفَاعِهِ وَعَنِ
التَّيْبَاسِ بَعْدَ اغْفَالِهِ ثُمَّ أَمَرَ الشَّاهِدَ أَنْ يُبْلَغَ الْغَائِبَ لِيَعْلَمَ بِإِنذَارِهِ
وَيَخْتَجَّ بِإِظْهَارِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ
فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ وَرُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

فَأَحْكَمَ مَا شَرَعَ مِنْ نَصِّ أَوْ تَنْبِيهِ وَعَمَّ بِمَا أَمَرَ مِنْ حَاضِرٍ وَبَعِيدٍ
حَتَّى صَارَ لِمَا تَحَمَّلَهُ مِنَ الشَّرْعِ مُوَدِّيًّا وَلِمَا تَقَلَّدَهُ مِنْ حُقُوقِ الْأُمَّةِ
مُوفِيًّا لِئَلَّا يَكُونَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ زَلَلٌ وَذَلِكَ فِي بُرْهَةِ مِنْ زَمَانِهِ لَمْ يَسْتَوْفِ
تَطَاوُلَ الْاسْتِيعَابِ حَتَّى أَوْجَزَ وَأَنْجَزَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدَيِّعٍ مُعْجَزٍ .

وَالْخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : انْتِصَابُهُ لِيَجْهَادِ الْأَعْدَاءَ وَقَدْ أَحَاطُوا بِجِهَاتِهِ
وَأَحْدَقُوا بِجَنْبَاتِهِ وَهُوَ فِي قُطْبٍ مَهْجُورٍ . وَعَدَدٌ مَحْقُورٌ فَرَّادَ بِهِ مَنْ قَلَّ
وَعَزَّ بِهِ مَنْ ذَلَّ وَصَارَ بِإِثْخَانِهِ فِي الْأَعْدَاءِ مَخْذُورًا وَبِالرُّغْبِ مِنْهُ مَنْصُورًا
فَجَمَعَ بَيْنَ التَّصَدِّي لِيَشْرَعَ الدِّينَ حَتَّى ظَهَرَ وَانْتَشَرَ وَبَيَّنَّ الْإِنْتِصَابَ
لِيَجْهَادِ الْعَدُوَّ حَتَّى قَهَرَ وَانْتَصَرَ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مَعُوزٌ إِلَّا لِمَنْ أَمَدَّهُ اللَّهُ
بِمُعُونَتِهِ وَأَيَّدَهُ بِلُطْفِهِ وَالْمُعُوزُ مُعْجِزٌ .

وَالْخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِي حُرُوبِهِ وَالنُّجْدَةِ فِي
مُصَابَرَةِ عَدُوِّهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ حَرْبًا فِي فِزَاعٍ إِلَّا صَابِرٌ حَتَّى انْجَلَتْ عَنْ
ظَفَرٍ أَوْ دِفَاعٍ وَهُوَ فِي مَوْقِفِهِ لَمْ يَزَلْ عَنْهُ هَرَبًا وَلَا حَازَ فِيهِ رَغْبًا .

بَلْ ثَبَتَ بِقَلْبِ آمِنٍ وَجَاشَ سَاكِنٍ قَدْ وَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ
حَتَّى بَقِيَ بِإِزَاءِ جَمْعٍ كَثِيرٍ وَجَمٍّ غَفِيرٍ فِي تِسْعَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ
عَلَى بَغْلَةٍ مَسْبُوقَةٍ إِنْ طُلِبَتْ غَيْرَ مُسْتَعِدَّةٍ لِهَرَبٍ وَلَا طَلَبٍ وَهُوَ يُنَادِي
أَصْحَابَهُ وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ « أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ
عَبْدِ الْمُطَلِّبِ » فَعَادُوا أَشَدَّادًا وَأَرْسَالًا وَهَوَازِنُ تَرَاهُ وَتُحْجِمُ عَنْهُ فَمَا
هَابَ حَرْبَ مِنْ كَاثِرَةٍ وَلَا انْكَفَأَ عَنْ مِصَالُوةٍ مِنْ صَابِرِهِ .

وَقَدْ عَضَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْجَادٍ وَأَنْجَادٍ فَانْحَاذُوا وَصَبَرَ حَتَّى أَمَدَّهُ اللَّهُ
بِنَصْرِهِ وَمَا لِهَذِهِ الشَّجَاعَةِ مِنْ عَدِيلٍ وَلَقَدْ طَرَقَ الْمَدِينَةَ فَزَعُ فَاَنْطَلَقَ
النَّاسُ فَتَلَقَّوْهُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ
سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ فَتَلَقَّوْهُ عَائِدًا عَلَى فَرَسٍ عُرِيٍّ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَعَلَيْهِ
السَّيْفُ فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ
إِنَّا وَجَدْنَا بَحْرًا وَكَانَ الْفَرَسُ يُبْطِيءُ فَمَا سَبَقَهُ فَرَسٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره وأن دينه سيظهره
تحقيقاً لقوله تعالى « ليظهره على الدين كله » وتصدقاً لقول رسوله
صلى الله عليه وسلم « زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك أمّتي ما زوي لي منها » وكفى بهذا قياماً بحقه وشاهداً على صدقه .

والخصلة الثامنة : ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود
وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات وذرعه مرهونة عند يهودي على
أضع من شعير لطعام أهله .

وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقبال لهم خزائن وأموال
يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً وقد حاز
ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس
إلا الخشن .

ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الإقلال
ويضير على سغب الاختلال وكان يقول « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم
فمن ترك ديناً أو ضياعاً فعلي ومن ترك مالا فلورثتي » فهل مثل هذا الكرم
والجود كرم وجود أم هل لمثل هذا الإغراض والزهادة إغراض وزهد
هيات .

هل يذكرك شأؤ من هذه شؤور من فضائله ويسير من محاسنه التي
لا يخصى لها عدداً ولا يذكرك لها أمداً لم تكمل في غيره فيساوئه ولا
كذب بها ضد يناويه ولقد جهد كل منافي ومعايد وكل زنديق ومُلحد
أن يزرني عليه في قول أو فعل .

أو يظفر بهفوة في جد أو هزل فلم يجد إليه سبيلاً وقد جهد جهده
وجمع كيدته .

فَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِنْ فَضْلٍ شَاهَدَهُ الْحَسَدَةُ وَالْأَعْدَاءُ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ
مَغْمَزاً لِثَالِبٍ أَوْ قَادِحٍ وَلَا مَطْعَناً لِجَارِحٍ أَوْ فَاضِحٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
شَهِدَ الْأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ
وبالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ أَخْلَاقُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ آيَةٌ كُبْرَى وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ
نُبُوَّتِهِ الْعُظْمَى وَقَدْ أَجْمَلَهَا بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ وَآيَةٌ أُخْرَى لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا
الْخَاصَّةُ وَمَتَى ذُكِرَتِ الْخَاصَّةُ فَالْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْخَاصَّةِ .

وَهِيَ الْأَخْلَاقُ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ تَجْتَمِعْ لِبَشَرٍ قَطُّ قَبْلَهُ وَلَا تَجْتَمِعُ
لِبَشَرٍ بَعْدَهُ وَذَلِكَ أَنَّا لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ لِأَحَدٍ قَطُّ كَصَبْرِهِ وَلَا كَجَلَمِهِ
وَلَا كَوَفَائِهِ وَلَا كَزُهْدِهِ وَلَا كَجُودِهِ وَلَا كَنُجْدَتِهِ وَلَا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ وَلَا كَكْرَمِ
عِشْرَتِهِ وَلَا كَتَوَاضُعِهِ وَلَا كَحِفْظِهِ وَلَا كَصَمْتِهِ أَيْ إِذَا صَمَتَ وَلَا كَقَوْلِهِ
إِذَا قَالَ وَلَا كَعَجِيبِ مَنْشِئِهِ وَلَا كَعَفْوِهِ وَلَا كَدَوَامِ طَرِيقَتِهِ وَقِلَّةِ امْتِنَانِهِ .
وَلَمْ تَجِدْ شَجَاعاً قَطُّ إِلَّا وَقَدْ جَالَ حَوْلَهُ وَفَرَّ فَرَّةً وَانْحَارَ مَرَّةً وَلَا
يَسْتَطِيعُ مُنَافِقٌ وَلَا زَنْدِيقٌ وَلَا دَهْرِيٌّ أَنْ يُحَدِّثَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَالَ جَوْلَةً قَطُّ وَلَا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ وَلَا حَامَ عَنْ غَزْوَةٍ وَلَا هَابَ حَرْباً مِنْ مُكَائِرَةٍ .
وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبَ مَا آتَاهُ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ مَعَ سَائِرِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ
وَمِنْ ضُرُوبِ الْبُرْهَانَاتِ إِذْ أَعْدَاوُهُ جَمٌّ غَفِيرٌ وَجَمْعُهُمْ كَثِيرٌ فَخَصَّصَهُمْ
حِينَ جَادَلُوهُ وَصَابَرَهُمْ حِينَ عَانَدُوهُ وَكَابَدَ مِنَ الشَّدَائِدِ مَا لَمْ يَنْبُتْ
عَلَيْهَا إِلَّا كُلُّ مَعْصُومٍ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا مَنْصُورٌ إِلَى أَنْ عَلَتْ كَلِمَتُهُ
وظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ .

وَكُلُّ هَذِهِ آيَاتٌ تُنذِرُ بِالْحَقِّ وَتُلَاقِمُ الصِّدْقَ . لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، انتهى كلامه .

اللَّهُمَّ اسئَلْ بِنَا مَنَاجِجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِن مُّوْجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ
وَوَقِّفْنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا
وَاتِمِّمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« قصيدة في غربة الاسلام واهمال نصره »

« مَن يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ »

لَهْفِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَشْيَاعِهِ	لَهْفِي عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ تَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهُ	إِلَّا عَلَى الْخَيْرِ فِي ذَا الشَّانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَصْبَحَتْ أَنْوَارُهُ	مَخْجُوبَةً عَنْ سَالِكِ حَيْرَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَصْبَحَتْ أَنْصَارُهُ	فِي قِلَّةٍ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ فِي غُرْبَةٍ	أَضْحَوْا وَهُمْ فِي الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ أَصْبَحُوا فِي ضَيْعَةٍ	أَنْوَارُهُمْ تَخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ كَمْ لَنَا قَدْ أَخْلَصُوا	فِي النَّصْحِ لَوْ كَانَتْ لَنَا أَدْنَانِ
لَهْفِي عَلَى مَنْ يَجْلِبُونَ عَلَيْهِمُوا	بِالنُّصْحِ كُلُّ أَذَى وَكُلُّ هَوَانِ
لَهْفِي عَلَى مَنْ هُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى	مَا بَيْنَنَا لَوْ تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ أَوْجِدُوا فِي أُمَّةٍ	قَنِعَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُنْوَانِ
لَا يُعْرِفُ الْمَعْرُوفُ فِيمَا بَيْنَنَا	وَالنَّكْرُ مَالُوفٌ بِلَا نُكْرَانِ

خَذَلَتْ ذَوِي النَّصْحِ الصَّحِيحِ وَأَصْبَحَتْ

يَا وَيْحَ قَوْمٍ لَا يُمَيِّزُ جُلُومُ	عَوْنًا لِكُلِّ مُضَلِّلٍ فَتَانِ
فَتَصَدَّرَ الْجُهَالُ وَالضُّلَالُ فِيهِ	ذَا الْحَقُّ مِنْ ذِي دَعْوَةِ الْبُطْلَانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَخْتَالُ فِي فُضَاظِهِ	هَمٌّ بِادِعَاءِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
	فَدُمُ ثَقِيلٌ وَاسِعُ الْأَرْدَانِ

مَتَقَمَّشٌ مِنْ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ وَالْ
يُبْدِي التَّمَشُّدُ فِي الْمَحَافِلِ كَيْ يُرَى
تَبَا لَهُ مِنْ جَاهِلٍ مُتَعَالِمٍ
رَفَعَتْ حَسِينَتُهُ الْمَنَاصِبُ فَازْدَرَى
لَيْسَ التَّرْفُعُ بِالْمَنَاصِبِ رِفْعَةً
تَرَكَ الْمَنَابِرَ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهَا
وَنَزَا عَلَيْهَا سَفْلَةً يَا لَيْتَهُمْ
خُطِبُوا التَّفَرُّقَ فَوْقَهَا وَلَطَالَمَا
كَمْ يَأْمُرُونَ بِمُحَدَّثَاتٍ فَوْقَهَا
تَبْكِي الْمَنَابِرُ مِنْهُمْ وَتَوَدُّ لَوْ
مَا عِنْدَهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ خَيْرَةً
ثَكَلَتْهُمْ الْأَبَاءُ إِنَّ حَيَاتَهُمْ
جَهَلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ نَجَاتُهُمْ
وَجَفَوْا مَنَاجِجَ خَيْرِ أَسْلَافٍ لَهُمْ
لَا يَرْجِعُونَ لِآيَةٍ أَوْ سُنَّةٍ
بَلْ يَرْجِعُونَ لِرَأْيٍ مَنْ أَلْقَوْا لَهُمْ
وَكَذَلِكَ يَرْجِعُ مَنْ تَصَوَّفَ فِيهِمْ
فَالْأَوَّلُونَ أَتَوْا بِأَحْكَامٍ لَنَا
وَالْآخِرُونَ أَتَوْا لَنَا بِطَرَائِقٍ
وَمُحَصَّلُ الطَّرِيقِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا
وَكَذَا رُؤُسُهُمُ الطَّغَاةُ فَانْتَهُمُ
مَا حَكَّمُوا فِيهِمْ شَرَائِعَ دِينِهِمْ

آرَاءَ إِمْعَةٍ بِلَا فُرْقَانٍ
لِلنَّاسِ ذَا عِلْمٍ وَذَا إِنْتِقَانٍ
مُتَسَلِّطٍ بِوِلَايَةِ السُّلْطَانِ
أَهْلُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى عَلُوُّ الشَّانِ
مِنْ كُلِّ ذِي لَسَنٍ وَذِي عِرْفَانٍ
قَدْ أُدْرِجُوا مِنْ قَبْلُ فِي الْأَكْفَانِ
خُطِبَتْ عَلَيْهَا إِلْفَةُ الْإِخْوَانِ
تَقْضِي عَلَى سُنَنِ سُنَنِ حِسَانٍ
تَسْذِكُ تَحْتَهُمْ إِلَى الْأَرْكَانِ
بَلْ نَقُلْ آرَاءُ أَوْ اسْتِحْسَانِ
مَوْتُ لِسْنَةٍ خَاتَمِ الْأَذْيَانِ
وَهْدَى النَّبِيِّ مُبَيِّنِ الْقُرْآنِ
فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَفِي الْإِنْتِقَانِ
أَوْ سِيرَةِ الْمَاضِينَ بِالْإِحْسَانِ
بِأَزْمَةِ التَّقْلِيدِ وَالْأَرْسَانِ
لِلذُّوقِ أَوْ لِتَخَيُّلِ شَيْطَانِي
فِيهَا مُخَالِفُ سُنَّةٍ وَقُرْآنِ
غَيْرِ الطَّرِيقِ الْأَقْسَمِ الْقُرْآنِي
أَوْضَاعُ سُوءٍ رَدَّهَا الْوَحْيَانِ
لَمْ يَرْفَعُوا رَأْسًا بِذَا الْفُرْقَانِ
وَالْعَدْلُ فِيهَا قَائِمُ الْأَرْكَانِ

بَلْ حَكَّمُوا فِي النَّاسِ آرَاءَ لَهُمْ
وَبِخِ الشَّرِيعَةِ مِنْ مَشَايِخِ جِبَّةٍ
غَزَوْوا الْوَرَى بِالزِّيِّ وَالسَّمْتِ الَّذِي
وَرُؤُسُ سُوءٍ لَا اهْتِمَامَ بِهِمْ بِدِينِهِ
وَلَرَبَّمَا أَبَدُوا عِنَايَتَهُمْ بِهِ
تَعَسَّاءَ لِمَنْ أَضْحَى يُتَابِعُ قَوْلَ مَنْ
تَرَكَوا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ وَرَسُولِهِمْ
حُرِّمُوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ وَعُقُولِهِمْ
تَرَكَوا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ فَإِذَا بِهِمْ
وَتَفَرَّقُوا شَيْعًا بِهَا عَنْ نَهْجِهِ
كُلٌّ يَرَى رَأْيًا وَيَنْصُرُ قَوْلَهُ
وَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَفَّقُوا
وَلَا أَضْبَحُوا بَعْدَ الْخِصَامِ أَحِبَّةً
لَكِنَّهُمْ إِذْ آثَرُوا وَادِي تَخِيٍّ
فَالْمُقْتَدِي بِالْوَحْيِ فِي أَعْمَالِهِ
لِعُدُولِهِ عَنْ أَخْذِهِ بِمَذَاهِبِ
جَعَلُوا مَذَاهِبَهُمْ مُسَيِّطَرَةً عَلَى
ذَادُوا ذَوِي الْأَلْبَابِ عَنْ فَهْمِ الْكِتَابِ
وَعَدَّتْ شَرِيعَتُنَا بِمُوجِبِ قَوْلِهِمْ
حَاجَبُوا مَحَاسِنَهَا بِتَأْوِيلَاتِهِمْ
وَلَوْ أَنَّهَا بَرَزَتْ مُجَرَّدَةً لَهَا
لَكِنَّهُمْ قَامُوا حَوَائِلَ دُونَهَا

مِنْ وَحْيِ شَيْطَانِ أَخِي طُغْيَانٍ
وَاللَّابِيسِينَ لَنَا مُسُوكَ الضَّانِ
يُخْفِي مَخَازِي الْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ
نِ قَامَ أَوْ قَدْ خَرَّ لِلْأَذْقَانِ
بِسِيَاسَةٍ تَخْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ
بَخَسَ الْهُدَى وَمَزِيَّةُ الْأَذْهَانِ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الْخِذْلَانِ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الْخُسْرَانِ
غَرَقَى مِنَ الْآرَاءِ فِي طُوفَانٍ
مِنْ أَجْلِهَا صَارُوا إِلَى شَنَانٍ
وَلَهُ يُعَادِي سَائِرَ الْإِخْوَانِ
لَتَحَاكُمُوا لِيْلِهِ دُونَ تَوَانٍ
غَيْظَ الْعِدَا وَمَذَلَّةَ الشَّيْطَانِ
يَبْ أَضْبَحُوا أَعْدَاءَ هَذَا الشَّانِ
يَلْقَى الْأَذَى مِنْهُمْ وَكُلُّ هَوَانٍ
فِي الرَّأْيِ مَا قَامَتْ عَلَى بُرْهَانٍ
فَهَمَ الْحَدِيثِ وَمَنْزِلِ الْقُرْآنِ
بِ وَفَقِهِ سُنَّةِ صَاحِبِ التَّبَيَّانِ
مَنْسُوخَةٍ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
فَعَدَّتْ مِنَ الْآرَاءِ فِي خُلُقَانِ
مَ الْأَذْكِيَاءُ بِحُسْنِهَا الْفَتَانِ
كَأَلَا وَصِيَاءٍ لِقَاصِرِ الصَّبِيَّانِ

مَا عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّنَاطُرِ حُجَّةٌ
لَا يَفْزَعُونَ إِلَى الدَّلِيلِ وَإِنَّمَا
لَا عُجْبَ إِذْ ضَلُّوا هِدَايَةَ دِينِهِمْ
هَذَا قَدْ غَلَوْا فِي الْأَوَّلِيَّاتِ وَقُبُورِهِمْ
وَبَنَوْا عَلَى تِلْكَ الْقُبُورِ مَسَاجِدًا
وَكَذًا عَلَيْهَا أَسْرَجُوا وَاللَّعْنُ جَا
وَكَذَلِكَ قَدْ صَنَعُوا لَهَا الْأَقْفَاصَ تُو
يَكْسُونَهَا بِمَطَارِفِ مَنَقُوشَةٍ
بَلْ عِنْدَ رَأْسِ الْقَبْرِ تَلْقَى نَضْبُهُ
وَلَسَوْفَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ تَرَى
وَدَعَوْهُمْ شُفَعَاءَهُمْ أَيْضًا كَمَا
وَتَقَرَّبُوا لَهُمْ بِتَسْيِيبِ السَّوَا
وَتَمَسَّحُوا بِقُبُورِهِمْ وَسُتُورِهِمْ
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ هُنَاكَ تَرَاهُمْ
مَا عِنْدَهُمْ هَذَا الْخُشُوعُ إِذَا هُمُ
وَاسْتَنْجَدُوا بِهِمْ لِمَا قَدْ نَابَهُمْ
وَدَعَوْهُمْ بَرًّا وَبَحْرًا لَا كَمَنْ
فَهُمُ بِهَذَا الْوَجْهِ قَدْ زَادُوا عَلَى
تَرَكَوْا دُعَاءَ الْحَيِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَالِيَهُمْ جَعَلُوا التَّصَرُّفَ فِي الْوَرَى
فَكَانَتْهُمْ أَرْجَى لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
وَكَانَتْهُمْ وَكَلَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ

أَنْتَى بِهَا لِمُقَلَّدِ حَيْرَانِ
فِي الْعَجْزِ مَفْزَعُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ
أَنْ يَرْجِعُوا لِلْجَهْلِ وَالْعِصْيَانِ
أَضَحَتْ يُحْجُّ لَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ
وَالنَّصَّ جَاءَ لَهُمْ بِلَعْنِ الْبَانِي
فِي الْفِعْلِ ذَا أَيْضًا مَعَ الْبُنْيَانِ
ضَعُ فَوْقَهَا فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
قَدْ كَلَّفَتْهُمْ بَاهِظَ الْأَتْمَانِ
قَدْ عَمَّوْهَا عِمَّةَ الشَّيْخَانِ
وَلَهَا يَدَانِ تَلِينُهُمَا الرُّجْلَانِ
قَدْ كَانَ يَزْعُمُ عَابِدُو الْأَوْثَانِ
نِيبَ وَالنُّذُورِ وَسَائِرِ الْقُرْبَانِ
وَكَذَلِكَ بِالْأَقْفَاصِ وَالْجُذْرَانِ
مُتَخَشِّعِينَ كَأَخْبَثِ الْعُبْدَانِ
صَلُّوا لِرَبِّهِمُ الْعَظِيمِ الشَّانِ
نَاسِينَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
خَصُّوا الدُّعَاءَ بِرَبِّهِمْ فِي الثَّانِي
مَنْ أَشْرَكُوا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ
لِدُعَاءِ أَمْوَاتٍ بِلَا حُسْبَانِ
فَهُمُ مُغِيثُ السَّائِلِ الْحَيْرَانِ
وَعَلَيْهِمْ أَحْنَى مِنَ الرَّحْمَنِ
سُبْحَانَهُ عَنِ الْإِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

وَكَاَنَّهُمْ حُجَابٌ رَحْمَةٍ رَبِّهِمْ
يَا قَوْمُ لَا غَوْثُ يَكُونُ مُعِيشَتُكُمْ
يَا قَوْمُ فَادْعُوا اللَّهَ لَا تَدْعُوا الْوَرَى
مَا بِالْكُفْرِ لَمْ تُخْلِصُوا تَوْحِيدَكُمْ
هَآ أَنْتُمْوَا أَشْبَهْتُمْوَا مَنْ قَبْلَكُمْ
إِنْ كَانَ هَآذَا الْفِعْلُ لَا يُسْمَوْنَهُ
مَعْنَى الْعِبَادَةِ ثَابِتٌ مُتَحَقِّقٌ
إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ بَلْ مُخْهَآ
فَإِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شَفَعَاؤُكُمْ
فَالْجَاهِلِيَّةُ كَانَ هَآذَا زَعْمُهُمْ
مَا كَانَ أَهْلُ الشَّرْكِ يَتَعَقَّدُونَهُمْ
وَاللَّهُ مَا شَرَعَ التَّوَسَّلَ لِلْوَرَى
وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِطَاعَةٍ حَتَّى يَجِي
وَالْعَامِلُونَ عَلَى وَفَاقِ الْأَمْرِ لَا
وَالْعَامِلُونَ بِمُقْتَضَى أَهْوَائِهِمْ
هَلْ مَا فَعَلْتُمْ جَاءَكُمْ أَمْرٌ بِهِ
أَوْ هَلْ أَتَى مِنْ قُدْوَةٍ فِي الدِّينِ مِنْ
وَهُنَا لَكُمْ عِنْدِي نَصِيحَةٌ مُخْلِصٌ
أَنْ تَأْخُذُوا بِالْإِخْتِيَاطِ لِأَمْرِكُمْ
إِنْ كَانَ مَا تَأْتُونَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ
فَالِإِتِّعَادُ عَنِ الْمَخُوفِ مُقَدَّمٌ

هُمْ قَاسَمُوهُآ بَيْنَهُمْ بِوِزَانٍ
إِنَّ الْمُغِيثَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ
أَنْتُمْ وَهُمْ بِالْفَقْرِ مَوْسُومَانِ
تَوْحِيدَكُمْ وَالشَّرْكَ مُقْتَرَنَانِ
فِي شَرِكِهِمْ بِعِبَادَةِ الدِّينِ
بِعِبَادَةِ فِيهِ اسْمُهُ الْقُرْآنِي
فِي فِعْلِكُمْ شَرْعاً وَعُرْفُ لِسَانٍ
قَدْ قَالَ ذَا مَنْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ
تَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ
أَيْضاً وَقَدْ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرَانِ
خَلَقُوهُمْوَا يَا جَاهِلَ الْقُرْآنِ
إِلَّا بِطَاعَتِهِ مَعَ الْإِيمَانِ
أَمْرٌ بِهِ شَرْعاً إِلَى الْإِنْسَانِ
يَعْدُونَهُ بِالزَّيْدِ وَالتَّقْصَانِ
هُمْ مُؤَثِّرُونَ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ
مِنْ رَبِّكُمْ عَنْ صَاحِبِ التَّيْبَانِ
صَحْبِ النَّبِيِّ وَتَابِعِ الْإِحْسَانِ
لَا يَمْتَرِي فِيْمَا يَقُولُ اثْنَانِ
قَبْلَ الْخُلُودِ بِمَوْقِدِ النَّيْرَانِ
وَالشَّرْكَ مَخْشِيٌّ لَدَى الْإِتْيَانِ
عَقْلاً عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْإِنْسَانِ

خاتمة ونداء للعلماء

يا معشرَ العلماءِ لبوا دَعْوَةَ
يا معشرَ العلماءِ هبوا هَبَّةً
يا معشرَ العلماءِ قوموا قَوْمَةً
يا معشرَ العلماءِ عَزِّمُوا صَادِقِ
يا معشرَ العلماءِ أَنْتُمْ مُلْتَجَا
يا معشرَ العلماءِ كونوا قدوة
يا معشرَ العلماءِ أَنْتُمْ حُجَّةُ
يا معشرَ العلماءِ إِنْ سَكُوتُكُمْ
يا معشرَ العلماءِ لَا تَتَخَذَلُوا
وَتَجَرَّدُوا لِلَّهِ مِنْ أَهْوَائِكُمْ
وَتَعَاقِدُوا وَتَعَاهَدُوا إِنْ تَنْصُرُوا
كُونُوا بَحِثْ يَكُونُ نَصَبٌ عِيُونِكُمْ
قَدْ فَرَّقْتَنَا كَثْرَةُ الْأَرَءِ إِذْ
وَمِنْ أَجْلِهَا صِرْنَا يُعَادِي بَعْضُنَا
وَعَدَتْ أَخُوَّةٌ دِينَنَا مَقْطُوعَةٌ
وَاللَّهُ أَلْفَ بَيْنَنَا فِي دِينِهِ
عُودُوا بِنَا لِسَمَاحَةِ الدِّينِ الَّذِي
عُودُوا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
فَالْيُكْمُوا تَتَطَلَّعُ الْأَنْظَارُ فِي
فَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِهِ

تُعَلِّي مَقَامَكُومًا عَلَى كَيْوَانِ
قَدْ طَالَ نَوْمُكُمْ إِلَى ذَا الْآنِ
لِلَّهِ تَعَلِّي كَلِمَةَ الْإِيمَانِ
مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرَ جَبَانِ
لِلدِّينِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الْحَدَثَانِ
لِلنَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ
لِلنَّاسِ فَادْعُوهُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
مِنْ حُجَّةِ الْجُهَالِ كُلِّ زَمَانِ
وَتَعَاوَنُوا فِي الْحَقِّ لَا الْعُدْوَانِ
وَدَعُوا التَّنَافُسَ فِي الْحُطَامِ الْفَانِي
مُتَعَاْضِدِينَ شَرِيعَةَ الرَّحْمَنِ
نَصْرُ الْكِتَابِ وَسُنَّةُ الْإِيمَانِ
صِرْنَا نُشَايَعُهَا بِلَا بُرْهَانِ
بَعْضًا بِلَا حَقٍّ وَلَا مِيزَانِ
وَالظُّلْمُ مَعْرُوفٌ عَنِ الْإِنْسَانِ
وَعَلَى التَّفَرُّقِ عَابَ فِي الْقُرْآنِ
كُنَّا بِهِ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
أَسْلَافَكُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
تَوْحِيدِ كَلِمَتِنَا عَلَى الْإِيمَانِ
وَاللَّهُ يَخْذُلُ نَاصِرَ الشَّيْطَانِ

(فصل)

وقال الإمام ابن حزم : وبرهان ضروري لمن تدبره حسي لأمجد عنه وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى إلى قوم لقاح لا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طبائعهم وهم أعداد عظيمة ملأوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قد صارت طبائعهم طباع السباع وهم ألوف الألوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبداً فدعاهم بلا مال ولا اتباع - بل خذله قومه - إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة .

ومن الحرية والظلم إلى جري الأحكام عليهم ومن طول الأيدي بقتل من أحبوا وأخذ مال من أحبوا إلى القصاص من النفس ومن قطع الأعضاء ومن اللطمة من أجل من فيهم لأقل عالج غريب دخل فيهم وإلى اسقاط الأنفة والفخر إلى ضرب الظهر بالسياط وبالنتال إن شربوا خمرأ أو قذفوا إنساناً .

وإلى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعاً بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط وما غزا قط غزوة يُقاتل فيها إلا تسع غزوات بعضها عليه وبعضها له ، فصح ضرورة أنهم إنما آمنوا طوعاً لا كرهاً .

وتبدلت طبائعهم بقدره الله تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم الذي لم يبلغه أكابر الفلاسفة وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الشر وصحب الرجل

مِنْهُمْ قَاتِلَ ابْنِهِ وَأَبْنَاهُ وَأَعْدَى النَّاسِ لَهُ صُحْبَةُ الْأُخُوَّةِ الْمُتَحَابِّينَ دُونَ
خَوْفٍ يَجْمَعُهُمْ وَلَا رِيَّاسَةٍ يَنْفَرُ دُونَ بِهَا دُونَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَلَا
مَالٍ يَتَعَجَّلُونَهُ فَقَدْ عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا وَكَيْفَ كَانَتْ طَاعَةُ الْعَرَبِ لَهُمَا بِلَا رِزْقٍ وَلَا عَطَاءٍ وَلَا غَلَبَةٍ .

فَهَلْ هَذَا إِلَّا بِغَلَبَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى « لَوْ
أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ »
ثُمَّ بَقِيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَذَلِكَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ بِلَا حَارِسٍ وَلَا دِيْوَانٍ
جُنْدٍ وَلَا بَيْتِ مَالٍ مَخْرُوسًا مَعْصُومًا .

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا قَبْلَ ذَلِكَ : كَانَتْ الْعَرَبُ بِلَا خِلَافٍ
قَوْمًا لِقَاحًا لَا يَمْلِكُهُمْ أَحَدٌ كَمُضَرٍّ وَرَبِيعَةٍ وَإِيَادٍ وَقُضَاعَةٍ أَوْ مُلُوكًا فِي
بِلَادِهِمْ يَتَوَارَثُونَ الْمُلْكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَمُلُوكِ الْيَمَنِ وَعُمَانَ وَشَهْرِ
ابْنِ بَارَامٍ مَلِكٍ صَنَعًا وَالْمُنْدِيرِ بْنِ سَاوَى مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ
الْحَبَشَةِ وَجَنْفَرٍ وَعِيَاذِ ابْنِي الْجَلَنْدِيِّ وَمَلِكِي عُمانَ فَانْقَادُوا كُلُّهُمْ لِظُهُورِ
الْحَقِّ وَبُھُورِهِ وَآمَنُوا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوْعًا وَهُمْ آلَافُ آلَافٍ
وَصَارُوا إِخْوَةً كَبَنِي أَبِي وَأُمٍّ وَانْحَلَّ كُلُّ مَنْ أَمَكَهُ الْإِنْجِلَالُ عَنْ مُلْكِهِ مِنْهُمْ
إِلَى رُسُلِهِ طَوْعًا بِلَا خَوْفٍ غَزَوْا وَلَا إِعْطَاءٍ مَالٍ وَلَا طَمَعٍ فِي عِزٍّ بَلْ كُلُّهُمْ
أَقْوَى جَيْشًا مِنْ جَيْشِهِ وَأَكْثَرُ مَالًا وَسِلَاحًا مِنْهُ وَأَوْسَعُ بَلَدًا مِنْ بَلَدِهِ كَذِي
الْكُلَاعِ وَكَانَ مَلِكًا مُتَوَجِّعًا ابْنُ مُلُوكٍ مُتَوَجِّعِينَ تَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ
يَرْكَبُ أَمَامَهُ أَلْفُ عَبْدٍ مِنْ عَيْنِيهِ سِوَى بَنِي عَمِّهِ مِنْ حِمِيرٍ وَذِي ظَلِيمٍ
وَذِي زُودٍ وَذِي مُرَانَ وَذِي عَمْرِوٍ وَغَيْرِهِمْ كُلُّهُمْ مُلُوكٌ مُتَوَجِّعُونَ فِي بِلَادِهِمْ .
هَذَا كُلُّهُ أَمْرٌ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْ حَمَلَةِ الْأَخْبَارِ بَلْ هُوَ مَنْقُولٌ كَنَقْلِ

كَوْنِ بِلَادِهِمْ فِي مَوَاضِعِهَا وَهَكَذَا كَانَ إِسْلَامُ جَمِيعِ الْعَرَبِ أَوْلَاهُمْ كَالْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ ثُمَّ سَائِرِهِمْ قَبِيلَةً قَبِيلَةً لِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ وَبَهْرِهِمْ
مِنْ مُعْجَزَاتِهِ وَمَا اتَّبَعَهُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ إِلَّا وَهُوَ فَرِيدٌ نَابِذُهُ قَوْمُهُ حَسَدًا لَهُ.

إِذْ كَانَ فَقِيرًا يَتِيمًا أُمِيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ نَشَأَ فِي بِلَادِ الْجَهْلِ
وَالْجَاهِلِيَّةِ يَرْعَى غَنَمَ قَوْمِهِ يَتَقَوَّتُ بِهَا فَعَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ دُونَ
مُعَلِّمٍ وَعَصَمَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَهُ بِالْأَحْسَنِ وَبِلَا حَاجِبٍ وَلَا بَوَابٍ وَلَا قَصْرِ
يَمْتَنِعُ فِيهِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَفُتَاكِهِمْ كَعَامِرِ بْنِ
الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدَ بْنِ جُزْءٍ وَغُورَثَ بْنِ الْحَارِثِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ اقْتِرَارِ أَعْدَائِهِ
بَبُيُوتِهِ كَمُسَيْلِمَةَ وَسَجَاحٍ وَطَلِيحَةَ وَالْأَسْوَدَ وَهُوَ مُكْذِبٌ لَهُمْ فَهَلْ بَعْدَ
هَذَا بُرْهَانٌ أَوْ بَعْدَ هَذِهِ الْكِفَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كِفَايَةٌ وَهُوَ لَا يَبْغِي دُنْيَا
وَلَا يُمْنِي بِهَا مَنْ اتَّبَعَهُ بَلْ أَنْذَرَ الْأَنْصَارَ بِالْأَثَرَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ وَتَابِعُوهُ عَلَى
الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ .

قَامَ لَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى قَدَمٍ فَمَنَعَهُمْ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ
الْقِيَامَ لِلَّهِ تَعَالَى لَا لِخَلْقِهِ وَرَضُوا بِالسُّجُودِ لَهُ فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ
إِلَّا اللَّهُ وَخَدَّهُ .

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ صِفَةً طَالِبِ دُنْيَا قَطُّ أَضْلًا وَلَا صِفَةً
رَاغِبٍ فِي غَلْبَةٍ وَلَا بَعْدَ صَوْتٍ بَلْ هَذِهِ حَقِيقَةُ النَّبُوءَةِ الْخَالِصَةِ لِمَنْ كَانَ
لَهُ أَدْنَى فَهَمٍ .

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ وَأَيْضًا فَإِنَّ سِيرَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَنْ تَدَبَّرَهَا تَقْتَضِي تَصْدِيقَهُ ضَرُورَةً وَتَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا فَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجَزَةٌ غَيْرُ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَكَفَى وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَشَأَ كَمَا قُلْنَا فِي بِلَادِ الْجَهْلِ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا خَرَجَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ قَطُّ إِلَّا خَرَجَتَيْنِ .

إِخْدَاهُمَا إِلَى الشَّامِ وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ عَمِّهِ إِلَى أَوَّلِ أَرْضِ الشَّامِ وَرَجَعَ وَالْأُخْرَى أَيْضاً إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ وَلَمْ يَطْلُبْ بِهَا الْبَقَاءَ وَلَا فَارَقَ قَوْمَهُ قَطُّ ثُمَّ أَوْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى رِقَابَ الْعَرَبِ كُلِّهَا فَلَمْ تَتَغَيَّرْ نَفْسُهُ وَلَا حَالَتِ سِيرَتُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي شَعِيرٍ لِقَوْتِ أَهْلِهِ . أَصْوَاعٌ لَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ وَلَمْ يَبْتَ قَطُّ فِي مُلْكِهِ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ وَكَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ مَا وَجَدَ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَيَرْفَعُ ثَوْبَهُ وَيُوَثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَقَتْلَ رَجُلٍ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِهِ مِثْلُ فَقْدِهِ يَهُدُّ عَسْكَراً قَتَلَ بَيْنَ أَظْهَرِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ فَلَمْ يَتَسَبَّبْ إِلَى أَذَى أَعْدَائِهِ بِذَلِكَ إِذْ لَمْ يُوجِبِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ وَلَا تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى دِمَائِهِمْ وَلَا إِلَى دَمٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِهِمْ بَلْ فَدَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ بِمِائَةِ نَاقَةٍ .

وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُخْتَاجٌ إِلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ يَتَقَوَّى بِهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَصْحَابِ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَيْضاً ظَاهِرَ السَّيَرَةِ وَالسِّيَاسَةِ فَصَحَّ يَقِيناً بَلَا شَكٍّ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ مُتَّبِعاً مَا أَمَرَ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ مُضِرّاً بِهِ فِي دُنْيَاهُ غَايَةَ الْإِضْرَارِ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُضِرٍّ بِهِ وَهَذَا عَجِيبٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

ثُمَّ حَضَرَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنِيَّةُ وَأَيَقَنَ بِالْمَوْتِ وَلَهُ عَمٌّ أَخُو أَبِيهِ هُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَابْنٌ عَمٌّ هُوَ مِنْ أَحْصَى النَّاسِ بِهِ وَهُوَ أَيْضاً زَوْجُ ابْنَتِهِ وَكِلَاهُمَا عِنْدَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْدِّينِ وَالسِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْبَاسِ

وَالْجَلْمِ وَخِلَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَقِيقًا بِسِيَاسَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ فَلَمْ يُحَابِيهِمَا وَهُمَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَحَبَّةً فِيهِ وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ فِيهِمَا. إِذْ كَانَ غَيْرُهُمَا مُتَقَدِّمًا لَهُمَا فِي الْفَضْلِ قَاصِدًا اتِّبَاعَ مَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمْ يُورَثْ وَرَثَتُهُ ابْنَتُهُ وَنِسَاءَهُ وَعَمَّهُ فَلَسًا فَمَا فَوْقَهُ وَهُمْ كُلُّهُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ ، وَهَذِهِ أُمُورٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا كَافِيَةٌ مُغْنِيَةٌ فِي أَنَّهُ إِنَّمَا تَصَرَّفَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ لَا بِسِيَاسَةٍ وَلَا بِهَوَى فَوْضَحَ بِمَا ذَكَرْنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ كَثِيرًا أَنَّ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ وَأَنَّ شَرِيعَتَهُ الَّتِي آتَى بِهَا هِيَ الَّتِي وَضَحَتْ بَرَاهِينُهَا وَاضْطَرَّتْ دَلَالُهَا إِلَى تَصْدِيقِهَا وَالْقَطْعُ عَلَى أَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ سِوَاهُ وَأَنَّهَا دِينُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا دِينَ لَهُ فِي الْعَالَمِ غَيْرُهُ انْتَهَى كَلَامُهُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ وَيُوبِخُهَا عَلَى تَفْرِيطِهَا وَاهْمَالِهَا :

يَا نَفْسُ هَذَا الَّذِي تَأْتِيَنَّهُ عَجَبٌ	عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَلَا نُسْكٌ وَلَا أَدَبٌ
وَصُفُّ النَّفَاقِ كَمَا فِي النَّصِّ نَسْمَعُهُ	عِلْمُ اللِّسَانِ وَجَهْلُ الْقَلْبِ وَالسَّبَبُ
حُبُّ الْمَتَاعِ وَحُبُّ الْجَاهِ فَانْتَبِهِي	مِنْ قَبْلِ تَطَوُّي عَلَيْكَ الصُّخْفُ وَالْكُتُبُ
وَتُصْبِحِينَ بِقَبْرِ لَا أُنْيَسَ بِهِ إِلَّا	الْأَهْلُ وَالصُّحْبُ لَمَّا أَلْحَدُوا ذَهَبُوا
وَخَلْفُوكِ وَمَا أَسْلَفَتْ مِنْ عَمَلٍ	الْمَالُ مُسْتَأْخِرٌ وَالْكَسْبُ مُصْطَحَبٌ
وَاسْتَبْقِيَنِي أَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ مُجْتَمِعًا	لِلْعَالَمِينَ فَتَأْتِي الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
وَالْخَلْقُ طَرًّا وَيَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا	فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ الْأَمْوَالُ وَالْحَسَبُ
وَاخْشَى رُجُوعًا إِلَى عَذَابٍ تَوَعَّدَمَنْ	لَا يَتَّقِيهِ بِنَارٍ حَشَوَهَا الْغَضَبُ
وَقَوْدَهَا النَّاسُ وَالْأَخْجَارُ حَامِيَةً	لَا تَنْظِفِي أَبَدَ الْآبَادِ تَلْتَهَبُ

وَالْبُعْدِ عَنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي حُشِيَتْ
فِيهَا الْفَوَاحِشُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
وَهَذِهِ الدَّارُ دَارُ لَا بَقَاءَ لَهَا
وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ وَالْمَرْكُوبُ تَرْكِبُهُ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا سِوَى عَوَظِ
يُرِيدُ صَاحِبُهُ وَجْهَ الْإِلَهِ بِهِ
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالًا يُرِيدُ بِهَا
تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
وَمَا أَشِيرَ فِيهِ إِلَى بَعْضِ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي
وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَلِي :

هُوَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى هُدَاهُ وَصَحَّ مِنْ
بِذَلِكَ عَلَى الطُّوفَانِ نُوحٌ وَقَدْ نَجَا
وَوَاضَحَ لَهُ مَا فَاضَ عَنْهُ اسْتِجَابَةٌ
وَسَارُوا مَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ
وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أَخْضَرَ مِنْ سَبَا
وَأَخْمَدَ لِإِبْرَاهِيمَ نَارَ عَدُوِّهِ
وَلَمَّا دَعَا الْأَطْيَارَ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ
وَفِي يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ
وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُونًا بِضْرَبَةٍ
وَيُوسُفُ إِذْ أَلْقَى الْبَشِيرُ قَمِيصَهُ
رَأَاهُ بَعِينٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى
وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةُ السَّمَاءِ
وَمِنْ أَلَمِ أَبْرَى وَمِنْ وَضَحِ غَدَا

هَوَاهُ أَرَاهُ الْخَارِقَاتِ بِحِكْمَةٍ
بِهِ مَنْ نَجَا فِي قَوْمِهِ فِي السَّفِينَةِ
وَجَدَا إِلَى الْجُودِيِّ بِهَا وَاسْتَقَرَّتْ
سُلَيْمَانُ بِالْجَيْشَيْنِ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ
لَهُ عَرْشُ بَلْقَيْسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ
وَفِي لُطْفِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضُ جَنَّةٍ
وَقَدْ قُطِّعَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةٍ
مِنَ السَّحْرِ أَهْوَالًا عَلَى النَّفْسِ شَقَّةٍ
بِهَا دَائِمًا سَقَّتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَّتْ
عَلَى وَجْهِهِ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ بِأَوْبَةٍ
عَلَيْهِ بِهَا شَوْقًا إِلَيْهِ فَكَفَّتْ
لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتْ
شَفَى وَأَعَادَ الطَّيْرَ طَيْرًا بِنَفْخَةٍ

وَصَحَّ بِأَخْبَارِ التَّوَاتُرِ أَنَّهُ
وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا عَنِ السَّحْرِ أَنَّهُ
يُنَزَّهُ عَنْ رَيْبِ الظُّنُونِ عَفِيفَةً
وَقَالَ لِأَهْلِ السَّبْتِ كُونُوا إِلَهُنَا
وَصَرَاعَ أَهْلِ الْفَيْلِ مِنْ دُونِ بَيْنِهِ
وَأَحْرَقَ رَوْضَ الْجَنَّتَيْنِ عَقُوبَةً
أَمَاتَ وَأَحْيَا بِالْدَعَا رَبَّ مَيِّتٍ
رَضِيعٌ يُنَادِي بِاللِّسَانِ الْفَصِيحَةِ
مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَرَيْبَةٍ
قُرُوداً فَكَانُوا عِبْرَةً أَيْ عِبْرَةً
بِطَيْرِ أَبَابِيلٍ صِفَارٍ ضَعِيفَةٍ
بِكَافٍ وَنُونٍ عِبْرَةً لِلْبَرِيَّةِ

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرَصَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مُحَمَّدُ الْمُبْعُوثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
لِئِنْ سَبَّحَتْ صُومُ الْجِبَالِ مُجِيبَةً
فَإِنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ لَأَنْتَ بِكَفِّهِ
وَإِنْ كَانَ مُوسَى أَنْبَعَ أَلَمًا مِنَ الْحَصَى
وَإِنْ كَانَتْ الرِّيحُ الرُّخَاءُ مُطِيعَةً
فَإِنَّ الصَّبَا كَانَتْ لِنَضْرِ نَبِينَا
وَإِنْ أُوْتِيَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ وَسُخَّرَتْ
فَإِنَّ مَفَاتِيحَ الْكُنُوزِ بِأَسْرِهَا
وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ أُعْطِيَ خُلَّةً
فَهَذَا حَبِيبٌ بَلَّ خَلِيلٌ مُكَلَّمٌ
وُخْصَصَ بِالْحَوْضِ الْعَظِيمِ وَبِاللَّوَا
وَبِالْمَقْعَدِ الْأَعْلَى الْمُقَرَّبِ عِنْدَهُ
وَبِالرُّتَبَةِ الْعُلْيَا الْوَسِيلَةِ دُونَهَا
وَفِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ أَوَّلُ دَاخِلٍ
يُشِيدُ مَا أَوْهَى الضَّلَالُ وَيُضْلِحُ
لِدَاوُدَ أَوْ لَانَ الْحَدِيدُ الْمُصَفَّحُ
وَإِنَّ الْحَصَى فِي كَفِّهِ لَيُسَبِّحُ
فَمِنْ كَفِّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْمَاءُ يَطْفَحُ
سُلَيْمَانَ لَا تَأَلَوْ تَرُوحُ وَتَسْرَحُ
بِرُغْبٍ عَلَى شَهْرِ بِهِ الْخَصْمُ يَكْلَحُ
لَهُ الْجَنُّ تَشْفِي مَا رَضِيهِ وَتَلْدَحُ
أَتَتْهُ فَرَدَّ الزَّاهِدُ الْمُتَرَجِّحُ
وَمُوسَى بِتَكْلِيمٍ عَلَى الطُّورِ يُنْمَحُ
وُخْصَصَ بِالرُّوْيَا وَبِالْحَقِّ أَشْرَحُ
وَيَشْفَعُ لِلْعَاصِينَ وَالنَّارُ تَلْفَحُ
عَطَاءً بِبُشْرَاهُ أَقْرُ وَأَفْرَحُ
مَرَاتِبُ أَرْبَابِ الْمَوَاهِبُ تَلْمَحُ
لَهُ سَائِرُ الْأَبْوَابِ بِالْخَيْرِ تُفْتَحُ

اللهم احفظنا بالاسلام قَائِمِينَ ، واحفظنا بالاسلام قَاعِدِينَ ، واحفظنا بالاسلام رَاقِدِينَ ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين ، اللهم قَوِّ إيمانَنَا بِفَهْمِ آيَاتِكَ ، وارزقنا الْعَمَلَ بِهَا ، وزِدْنَا عِلْمًا يَنْفَعُنَا ، وَأَصْلَحْ نِيَاتِنَا ، وَوَقِّقْنَا لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وارزُقْنَا حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبَعْدُ فقد رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ أَخْتَمَ هَذَا الْكِتَابَ الْمَحْتَوِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآدَابِ بِمَنْظُومَةِ الْآدَابِ لِابْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا نَفْعًا عَامًا مَنْ قَرَأَهَا وَمَنْ سَمِعَهَا وَمَنْ حَضَرَهَا وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله :

بِحَمْدِكَ ذِي الْإِكْرَامِ مَارُمْتُ أَبْتَدِي	كَثِيرًا كَمَا تَرْضَى بَغَيْرِ تَحَدُّدٍ
وَصَلُّ عَلَى خَيْرِ الْأَنْسَامِ وَآلِهِ	وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِي
وَبَعْدُ فَإِنِّي سَوْفَ أَنْظِمُ جُمْلَةً	مِنَ الْآدَابِ الْمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدٍ
مِنَ السُّنَّةِ الْغَرَاءِ أَوْ مِنْ كِتَابٍ مَنْ	تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الْغَوَاةِ وَجُحْدٍ
وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ عُلَمَائِنَا	أَثَمَةِ أَهْلِ السَّلَامِ مِنْ كُلِّ أَمْجَدٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَنْفَعَنَا بِهِ	وَيُنْزِلُنَا فِي الْحَشْرِ فِي خَيْرِ مَقْعَدٍ

أَلَا مَنْ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالِدَيْنِ رَغْبَةٌ
وَيَقْبَلُ نُصْحًا مِنْ شَفِيقٍ عَلَى الْوَرَى
فَعِنْدِي مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَمَانَةٌ
أَلَا كُلُّ مَنْ رَامَ السَّلَامَةَ فَلْيَصُنْ
يَكْبُ الْفَتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ
وَطَرْفُ الْفَتَى يَا صَاحِرَ رَائِدُ فَرْجِهِ
وَيَحْرُمُ بُهْتُ وَاغْتِيَابُ نَمِيمَةٍ
وَفُحْشٌ وَمَكْرٌ وَالْبِدَا وَخَدِيعَةٌ
بِغَيْرِ خِدَاعِ الْكَافِرِينَ بِحَرْبِهِمْ
وَيَحْرُمُ مِزْمَارُ وَشَبَابَةٌ وَمَا
وَلَوْ لَمْ يُقَارِنْهَا غِنَاءُ جَمِيعُهَا
وَلَا بِأَسْ بِالشُّعْرِ الْمُبَاحِ وَحِفْظِهِ
فَقَدْ سَمِعَ الْمُخْتَارُ شِعْرَ صَحَابَةٍ
وَحَظَرَ الْهَجَا وَالْمَدْحَ بِالنُّزُورِ وَالْخَنَا
وَوَصَفَ الزُّنَا وَالْخَمْرَ وَالْمُرْدَ وَالنِّسَاءَ
وَأَوْجِبَ عَنِ الْمُحْضُورِ كَفَّ جَوَارِحِ
وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ يَا فَتَى
عَلَى عَالِمٍ بِالْحَظَرِ وَالْفِعْلِ لَمْ يَقُمْ
وَلَوْ كَانَ ذَا فِسْقٍ وَجْهٍ فِي سِوَى
وَبِالْعُلَمَاءِ يَخْتَصُّ مَا اخْتَصَّ عِلْمُهُ
وَأَضَعَفَهُ بِالْقَلْبِ ثُمَّ لِسَانِهِ

لِيُضْغِرَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ مُتَرَصِّدٍ
حَرِيصٍ عَلَى زَجْرِ الْأَنَامِ عَنِ الرَّدِيِّ
سَابِذُهَا جُهْدِي فَأَهْدِي وَأَهْتَدِي
جَوَارِحَهُ عَنْ مَا نَهَى اللَّهُ يَهْتَدِي
وَارْسَالُ طَرْفِ الْمَرْءِ أَنْكَى فَقِيدِ
وَمُتْعِيهِ فَأَغْضُضْهُ مَا اسْطَغَتْ تَهْتَدِي
وَأَفْشَاءُ سِرِّ ثُمَّ لَعْنُ مُقَيِّدِ
وَسُخْرِيَّةُ وَالْهَزْوُ وَالْكَذِبُ قَيِّدِ
وَلَلْعَرِيسِ أَوْ لِإِصْلَاحِ أَهْلِ التَّنَكُّدِ
يُضَاهِيهِمَا مِنْ آلَةِ اللَّهِ وَالرَّدِيِّ
فَمِنْهَا ذُو الْأَوْتَارِ دُونَ تَقْيِيدِ
وَصَنْعَتِهِ مَنْ رَدَّ ذَلِكَ يَغْتَدِي
وَتَشْيِيبُهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ خُرْدِ
وَتَشْيِيبِهِ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ أَكْثَدِ
فَتِيَّاتِ أَوْ نُوحِ التَّسْخِطِ مُورِدِ
وَنَدْبُ عَنِ الْمَكْرُوهِ غَيْرَ مُشَدِّدِ
عَنِ الْمُنْكَرِ اجْعَلْ فَرَضَ عَيْنِ تُسَدِّدِ
سِوَاهُ بِهِ مَعَ أَمْنِ عُدْوَانِ مُعْتَدِي
لِذِي قِيلَ فَرَضُ بِالْكَفَايَةِ فَاحْدُدِ
بِهِمْ وَبِمَنْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ قَدِ
وَأَقْوَاهُ إِنَّكَارُ الْفَتَى الْجَلْدِ بِالْيَدِ

وَأَنْكِرْ عَلَى الصَّبِيَّانِ كُلِّ مَحْرَمٍ
وَبِالْأَسْهَلِ ابْدَأْ ثُمَّ زِدْ قَدْرَ حَاجَةٍ
إِذَا لَمْ يَخَفْ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ حَيْفَةً
وَلَا غُرْمَ فِي دَفِّ الصُّنُوجِ كَسَرَتْهُ
وَأَلَّةٌ تَنْجِيهِمْ وَسِخْرٍ وَنَحْوِهِ
« وَقُلْتُ كَذَلِكَ السَّيْنَمَاءُ وَمِثْلُهُ
« وَأَوْرَاقُ أَلْعَابٍ بِهَا ضَاعَ عُمرُهُمْ
« كَذَا بَكَمَاتٍ وَالصَّلِيبُ وَمِزْمَرٌ
« كَذَلِكَ دُحَّانٌ وَشَيْشَةٌ شُرِبِهِ
« وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَاسْمَعْ كَلَامًا لِنَاطِمٍ
وَبَيْضَ وَجُوزٍ لِلْقِمَارِ بِقَدْرِ مَا
وَلَا شَقَّ زَقُّ الْخَمْرِ أَوْ كَسْرُ دَنَّةٍ
وَلِنْ يَتَأْتَى دُونَهُ دَفْعُ مُنْكَرٍ
وَهِجْرَانُ مَنْ أَبْدَى الْمَعَاصِيَ هُنَّةً
وَقِيلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِنًا
وَيَحْرُمُ تَجَسُّسٌ عَلَى مُتَسَتِّرٍ
وَهِجْرَانُ مَنْ يَدْعُو لِأَمْرِ مُضِلٍّ أَوْ
عَلَى غَيْرِ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَخْصِ قَوْلِهِ
وَيَقْضِي أُمُورَ النَّاسِ فِي إِتْيَانِهِ
وَحَظَرُ انْتِفَا التَّسْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ
وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ السَّلَامَ لَسُنَّةٌ
وَيُجْزِي تَسْلِيمُ امْرِئٍ مِنْ جَمَاعَةٍ

لِتَأْدِيبِهِمْ وَالْعِلْمُ فِي الشَّرْعِ بِالرَّدِيِّ
فَإِنْ لَمْ يَزَلْ بِالنَّافِدِ الْأَمْرَ فَاصْذُدْ
إِذَا كَانَ ذَا الْإِنْكَارِ حَتْمَ التَّأَكُّدِ
وَلَا صُورَ أَيْضًا وَلَا آلَةَ الدَّدِ
وَكُتِبَ حَوَتْ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ أَقْدُودِ
بَلَا رَيْبَ مِذْيَاعٍ وَتَلْفَازُ مُعْتَدِي
وَكُوزَاتِهِمْ مَزَّقَ هُدَيْتَ وَقَدِّدِ
وَأَلَّةُ تَصْوِيرٍ بِهَا الشَّرُّ مُرْتَدِي
وَأَلَّةُ تَطْفَافٍ لَهُ اكْثَرُ وَبَدِّدِ
يَسُوقُ لَكَ الْآدَابَ عَنْ خَيْرِ مُرْشِدِ
يُزِيلُ عَنِ الْمَنْكُورِ مَقْصَدَ مُفْسِدِ
إِذَا عَجَزَ الْإِنْكَارُ دُونَ التَّقْدُدِ
ضَمِنْتَ الَّذِي يُنْقَى بِتَغْسِيلِهِ قَدِ
وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرُدَّعُهُ أَوْجِبْ وَأَكْثِدِ
وَلَا قَهْ بَوَاجِهٍ مُكْفَهَرٍ مُعْرَبِدِ
بِفَسْقِي وَمَاضِي الْفِسْقِ إِنْ لَمْ يُجَدِّدِ
مُفْسَقِي اخْتِمَهُ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
وَيَدْفَعُ أَضْرَارَ الْمُضِلِّ بِمِذْوَدِ
وَلَا هَجَرَ مَعَ تَسْلِيمِهِ الْمُتَعَوِّدِ
عَلَى غَيْرِ مَنْ قُلْنَا بِهِجْرٍ فَأَكْثِدِ
وَرَدُّكَ فَرَضُ لَيْسَ نَذْبٍ بِأَوْطَدِ
وَرَدُّ فِتْنٍ مِنْهُمْ عَلَى الْكُلِّ يَا عَدِي

وَتَسْلِيمُ نَزَرٍ وَالصَّغِيرِ وَعَابِرِ أَلْسٍ
وَأَنْ سَلَّمَ الْمَأْمُورُ بِالرَّدِّ مِنْهُمْ
وَسَلَّمَ إِذَا مَا قُمْتَ عَنْ حَضْرَةِ أَمْرٍ
وَأَفْشَاؤُكَ التَّسْلِيمَ يُوجِبُ مَحَبَّةً
وَتَعْرِيفَهُ لَفْظُ السَّلَامِ مُجَوِّزٌ
وَقَدْ قِيلَ نَكْرَهُ وَقِيلَ تَحِيَّةٌ
وَسُنَّةٌ اسْتِفْذَانُهُ لِدُخُولِهِ
ثَلَاثًا وَمَكْرُوهٌ دُخُولُ لِهَاجِمٍ
وَوَقْفَتُهُ تَلْقَاءُ بَابٍ وَكُوهٍ
وَتَحْرِيكُ نَعْلَيْهِ وَظَهَارُ حِسِّهِ
وَكُلُّ قِيَامٍ لَا لِيَالٍ وَعَالِمٍ
وَصَافِحُ لَمِنْ تَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ حَلٌّ سُجُودَنَا
وَيُكْرَهُ مِنْكَ الْإِنْجَاءُ مُسَلِّمًا
وَحَلَّ عِنَاقٍ لِلْمَلَايِمِ تَدِينًا
وَنَزْعُ يَدٍ مِمَّنْ يُصَافِحُ عَاجِلًا
وَأَنْ يَجْلِسَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ
وَمَرَأَى عَجُوزٍ لَمْ تُرَدْ وَصَفَاحُهَا
وَتَشْيِئَتُهَا وَاسْكِرَةٌ كِلَا الْخِصْلَتَيْنِ
وَيَحْرُمُ رَأْيُ الْمُرْدِ مَعَ شَهْوَةٍ فَقَطْ
وَكَأَنَّ وَاصِلَ الْأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحٍ

بَيْنِي وَرُكْبَانٍ عَلَى الصِّدِّ أَيْدٍ
فَقَدْ حَصَلَ الْمَسْنُونُ إِذْ هُوَ مُبْتَدِي
وَسَلَّمَ إِذَا مَا جِئْتَ بَيْنَكَ تَهْتَدِي
مِنَ النَّاسِ مَجْهُولًا وَمَعْرُوفًا أَقْصَدِ
وَتَنْكِيرُهُ أَيْضًا عَلَى نَصِّ أَحْمَدٍ
كَلِمَتِ التَّوَدُّعِ عَرَفَ كَرَدِّدٍ
عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَقْرَبِينَ وَبَعْدِ
وَلَا سِيَمًا مِنْ سَفَرَةٍ وَتَبَعْدِ
فَإِنْ لَمْ يُجِبْ يَعْضِي وَإِنْ يَخْفَ يَزْدَدِ
لِدُخُولِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ أَشْهَدِ
وَوَالِدِهِ أَوْ سَيِّدِ كُرْهُهُ امْهَدِ
تَنَازَرُ خَطَايَاكُمْ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ
وَيُكْرَهُ تَقْيِيلُ الثَّرَى بِتَشْدِيدِ
وَتَقْيِيلُ رَأْسِ الْمَرْءِ حَلٍّ وَفِي الْيَدِ
وَيُكْرَهُ تَقْيِيلُ الْفَمِ أَفْهَمَ وَقِيدِ
وَأَنْ يَتَنَاجَى الْجَمْعُ مِنْ دُونِ مُفْرَدِ
بِسِرٍّ وَقِيلَ اخْضِرْ وَإِنْ يَأْذَنُ أَقْعَدِ
وَخَلَوْتُهَا اسْكِرَةٌ لَا تَحِيَّتُهَا أَشْهَدِ
لِلشَّبَابِ مِنَ الصَّنْفَيْنِ بُعْدَى وَأَبْعَدِي
وَقِيلَ وَمَعَ خَوْفٍ وَلِلْكُرْهِ جُودِ
تُوقَرُ فِي عُمَرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدِ

وَيَحْسُنُ تَحْسِينَ لِحُلُقِي وَصُحْبَةِ
وَلَوْ كَانَ ذَا كُفْرٍ وَأَوْجَبَ طَوْعَهُ
كَتَطْلَابِ عِلْمٍ لَا يَضُرُّهُمَا بِهِ
وَأَحْسِنَ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَيُكْرَهُ فِي الْحَمَامِ كُلِّ قِرَاءَةٍ
وغيرَ بغيرِ الْأَسْوَدِ الشَّيْبِ وَأَبْقِهِ
وَيُشْرَعُ لِيَكَاةِ السِّقَا وَغَطَا الْإِنَا
وَتَقْلِيمُ أَظْفَارِ وَنَتْفُ لَابِطِهِ
وَيَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوْتِ مِنْ عَاطِسٍ
وَيَحْمَدُ جَهْرًا وَلِيُسْمِعَهُ سَامِعٌ
وَقُلْ لِلْفَتَى عُوْفِيَتْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
وَعَطَّ فَمَا وَاسْطُظْمُ تُصَبُّ فِي تَثَاوُبٍ
وَلَا بَأْسَ شَرْعًا أَنْ يَطْبِكَ مُسْلِمٌ
وَتَرَكُ الدَّوَا أَوْلَى وَفَعَلَكُ جَائِزٌ
وَرَجَعَ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ بَأْسِهِ
وَيُشْرَعُ لِلْمَرْضَى الْعِيَادَةُ فَأَتِيهِمْ
فَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرُّضَا
وَأَنْ عَادَهُ فِي أَوَّلِ الْيَوْمِ وَأَصَلَتْ
فَمِنْهُمْ مُغِبًّا عُدَّةُ خَفَفَ وَمِنْهُمْ أَلْ
وَفَكَرُ وَرَاعَ فِي الْعِيَادَةِ حَالٌ مَنْ
وَمَكْرُوهُ اسْتِأْمَانُنَا أَهْلَ ذِمَّةٍ

وَلَا سِيَّمَا لِلْوَالِدِ الْمُتَأَكِّدِ
سِوَى فِي حَرَامٍ أَوْ لِأَمْرِ مُوَكَّدِ
وَتَطْلِيْقِ زَوَاجَاتِ بِرَأْيٍ مُجَرَّدِ
فَهَذَا بَقَايَا بِرِّهِ الْمُتَعَوِّدِ
وَذِكْرِ لِسَانِ وَالسَّلَامِ لِمُبْتَدِي
وَلِلْقَزَعِ أَكْرَهُ ثُمَّ تَذْلِيْسٍ نُهْدِ
وَأِنْجَافِ أَبْوَابِ وَطْفِءِ لِمُوقَدِ
وَحَلَقًا وَلِلتَّنْوِيرِ لِلْعَانَةِ أَقْصِدِ
وَأِنْ يُغْطَى وَجْهًا لِاسْتِتَارٍ مِنَ الرَّدِيِّ
لِتَحْمِيدِهِ وَالْيَبْدِ رَدُّ الْمُعَوِّدِ
وَلِلطُّفْلِ بُورِكَ فِيكَ وَأُمْرُهُ يَحْمَدِ
فَذَلِكَ مَسْنُونٌ لِأَمْرِ الْمُرْشِدِ
وَشَكْوَى الَّذِي تَلْقَى وَبِالْحَمْدِ فَاِبْتَدِي
وَلَمْ تَتَبَقَنَّ فِيهِ حُرْمَةً مُفْرَدِ
وَلَا قِيَّ بِحُسْنِ الظَّنِّ رَبَّكَ تَسْعَدِ
تَخْفُضُ رَحْمَةً تَغْمُرُ مَجَالِسَ عُودِ
تُصَلِّيْ عَلَى مَنْ عَادَ مُنْسِي إِلَى الْغَدِ
عَلَيْهِ إِلَى اللَّيْلِ الصَّلَاةِ فَاسْتَدِ
لِذِي يُورِثُ التَّطْوِيلَ مِنْ مُتَوَدِّدِ
تَعَوُّدٍ وَلَا تُكْثِرْ سُؤَالَ تَنْكَدِ
لَاخِرَازِ مَالٍ أَوْ لِقِسْمَتِهِ أَشْهَدِ

وَمَا رَكْبُوهُ مِنْ دَوَائِ مُوَصَّدٍ
طَبِيبًا سِوَى فَحْلٍ أَجْزَهُ وَمَهْدٍ
وَيَنْظُرُ مَا يَحْتَاجُهُ حَاقِنٌ قَدْ
مَكَانٍ وَلَادَاتِ النِّسَاءِ فِي التَّوَلَّدِ
وَبَطْنِ الْأَذَى حِلُّ كَقَطْعِ مُجَوِّدٍ
تَخَافَنَّ عُقْبَاهُ وَلَا تَتَرَدَّدِ
وَعَنَّهُ عَلَى الْأَطْلَاقِ غَيْرِ مُقَيَّدِ
لِتَعْلِيْبِهِ الْمَنْهِي عَنْهُ بِمُسْنَدِ
بَلَا ضَرَرٍ تَغْيِيرُ خَلْقٍ مُعَوَّدِ
يَضُرُّ بَلَا نَفْعٍ كَنِيمٍ وَمَرْتَدِ
كَذَا حَشَرَاتُ الْأَرْضِ دُونَ تَقْيِيدِ
وَدَبَرٍ وَحَيَاتٍ وَشِبْهِ الْمُعَدِّ
بِهِ وَاکْرَهَنَ بِالنَّارِ اخْرَاقَ مُفْسِدِ
أَذَى لَمْ يَزُلْ إِلَّا بِهِ لَمْ أَبْعُدِ
وَتَذَخِينِ زُنْبُورٍ وَشَيْءٍ بِمَوْقِدِ
وَصِرْدَانِ طَيْرٍ قَتْلُ ذَيْنِ وَهَذَا
وَإِنْ مُلِكْتَ فَاحْظِرْ إِذَا غَيْرُ مُفْسِدِ
ثَلَاثًا لَهُ أَذْهَبَ سَالِمًا غَيْرَ مُعْتَدِ
وَمَا بَعْدَ إِيْذَانِ تُرَى أَوْ بِفَدْفِدِ
وَكَلْبٍ وَفَهْدٍ لِاقْتِصَادِ التَّصِيدِ
وَإِنْ مُلِكْتَ فَاحْظِرْ وَإِنْ تُوذِ فَاقْدِرْ

وَمَكْرُوهٌ اسْتِطْبَابُهُمْ لَا ضَرُورَةَ
وَأَنْ مَرَضَتْ أَنْثَى وَلَمْ يَجِدُوا لَهَا
وَيُكْرَهُ حَقْنُ الْمَرْءِ إِلَّا ضَرُورَةَ
كَقَابِلَةِ حِلٍّ لَهَا نَظَرٌ إِلَى
وَيُكْرَهُ إِنْ لَمْ يَسِرْ قَطْعُ بَوَاسِرِ
لَا كِلَةَ تَسْرِي بِعُضْوٍ أَيْنَهُ إِنْ
وَقَبْلَ الْأَذَى لِابْعَدَهُ الْكَيِّ فَاكْرَهَنَ
وَفِيْمَا عَدَا الْأَغْنَامِ قَدْ كَرِهُوا الْخِصَا
وَقَطْعُ قُرُونٍ وَالْأَذْنِ وَشَقَّهَا
وَيَحْسَنُ فِي الْإِحْرَامِ وَالْحِلِّ قَتْلُ مَا
وَعَرَبَانِ غَيْرِ الزَّرْعِ أَيْضًا وَشِبْهِهَا
كَبَقٍ وَبُرْغُوثٍ وَفَأَرْ وَعَقْرَبِ
وَيُكْرَهُ قَتْلُ النَّمْلِ إِلَّا مَعَ الْأَذَى
وَلَوْ قِيلَ بِالتَّخْرِيمِ ثُمَّ أُجِيزَ مَعَ
وَقَدْ جَوَزَ الْأَصْحَابُ تَشْمِيسَ قَرْهَمِ
وَيُكْرَهُ لِنَهْيِ الشَّرْعِ عَنْ قَتْلِ صِفْدِ
وَيُكْرَهُ قَتْلُ الْهَرِّ إِلَّا مَعَ الْأَذَى
وَقَتْلُكَ حَيَاتِ الْبُيُوتِ وَلَمْ تُقْلُ
وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ أَقْتُلْ وَابْتَرِ حَيَّةِ
وَمَا فِيهِ إِضْرَارٌ وَنَفْعٌ كَبَاشِقِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُلْكًا فَانْتَ مُخِيرٌ

وَيُكْرَهُ نَفْحُ فِي الْغَدَا وَتَنْفُسُ
فَإِنْ كَانَ أَنْوَاعاً فَلَا بَأْسَ فَالَّذِي
وَأَخَذَ وَلَمَّعَ وَأَكْلُ وَشُرْبُهُ
وَأَكْلُكَ بِالشُّنْتَيْنِ وَالْأَصْبَحَ أَكْرَهَنُ
وَيُكْرَهُ بِالْيَمْنَى مُبَاشَرَةُ الْأَذَى
كَذَا خَلْعُ نَعْلَيْهِ بِهَا وَاتِّكَأُهُ
وَيُكْرَهُ فِي التَّمْرِ الْقِرَانُ وَنَحْوُهُ
وَكُنْ جَالِساً فَوْقَ الْيَسَارِ وَنَاصِبَ
وَيُكْرَهُ سَبْقُ الْقَوْمِ لِلْأَكْلِ نَهْمَةً
وَلَا بَأْسَ عِنْدَ الْأَكْلِ مِنْ شِبَعِ الْفَتَى
وَيَحْسَنُ تَضْغِيرُ الْفَتَى لُقْمَةَ الْغَدَا

وَيَحْسَنُ قَبْلَ الْمَسْحِ لَعْقُ أَصَابِعِهِ
وَتَحْلِيلُ مَا بَيْنَ الْمَوَاضِعِ بَعْدَهُ
وَعَسْلُ يَدٍ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ
وَكُلُّ طَيِّبٍ أَوْضِدَهُ وَالْبَسَ الَّذِي
وَمَا عِفَّتَهُ فَاتْرُكْهُ غَيْرَ مَعْنَفٍ
وَلَا تَشْرَبَنَّ مِنْ فِي السَّقَاءِ وَثُلْمَةِ الْ
وَنَحْ الْإِنَا عَنْ فَيْكٍ وَاشْرَبْ ثَلَاثَةً
وَلَا تَكْرَهَنَّ الشُّرْبَ مِنْ قَائِمٍ وَلَا أَنْ
وَيُكْرَهُ لُبْسُ فِيهِ شُهْرَةٌ لَا يَسُ
وَلِنْ كَانَ يُبْدِي عَوْرَةً لِسَوَاهُمَا
وَخَيْرٌ خِلَالِ الْمَرْءِ جَمْعاً تَوْسُطُ الْ

وَجَوْلَانُ أَيْدٍ فِي طَعَامٍ مُوَحَّدٍ
نُهْيٌ فِي اتِّحَادٍ قَدْ عُفِيَ فِي التَّعَدُّدِ
بِإِسْرَافِهِ فَاكْرَهْهُ وَمُتَكِباً ذُو
وَمَعَ أَكْلِ شَيْنِ الْعُرْفِ لِتَيَانِ مَسْجِدٍ
وَأَوْسَاحِهِ مَعَ نَشْرِ مَا أَنْفِهِ الرَّدِي
عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى وَرَأَى ظَهْرَهُ أَشْهَدُ
وَقِيلَ مَعَ التَّشْرِيكِ لِأَفِي التَّفَرُّدِ
الْيَمِينِ وَبَسْمِلِ ثُمَّ فِي الْإِنْتِهَاءِ أَحْمَدِ
وَلَكِنْ رَبُّ الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ يَبْتَدِي
وَمَكْرُوهُ الْإِسْرَافِ وَالثَّلَثُ أَكْدِ
وَبَعْدَ ابْتِلَاعِ ثَنٍّ وَالْمَضْغَ جَوْدِ
وَأَكْلُ فَتَاتٍ سَاقِطٍ بِتَشَرُّدِ
وَأَلْقِ وَجَانِبَ مَا نَهَى اللَّهُ تَهْتَدِي
وَيُكْرَهُ بِالْمُطْعُومِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
تُلَاقِيهِ مِنْ حِلٍّ وَلَا تَتَقَيَّدِ
وَلَا عَائِبَ رِزْقاً وَبِالشَّارِعِ اقْتَدِي
إِنَاءً وَانْظُرْ فِيهِ وَمَصّاً تَزَرِّدِ
هُوَ أَهْنٌ وَأَمْرٌ ثُمَّ أَرْوِي لِمَنْ صُدِي
تَعَالُ الْفَتَى فِي الْأَظْهَرِ الْمُتَأَكَّدِ
وَوَاصِفُ جِلْدٍ لِلزَّوْجِ وَسَيِّدِ
فَذَلِكَ مَحْظُورٌ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
أُمُورٍ وَحَالٍ بَيْنَ أَرْدَى وَأَجْوَدِ

وَمَا لَمْ يُدَسَّ مِنْهَا لِيَوْهَنَ فَشَدَّ
وَحْيٌ فَبَيَّضَ مُطْلَقاً لَا تَسْوَدُ
مَعَ الْجَهْلِ فِي أَصْبَاغِ أَهْلِ التَّهْوِدِ
وَأَنْ تَعْلَمَ التَّنَجِيسَ فَاغْسِلْهُ تَهْتِدِي
لِلْبَيْسِ رِجَالِ حَسْبُ فِي نَصِّ أَحْمَدِ
مِنَ الزُّعْفَرَانِ الْبَحْتِ لَوْنُ الْمُورِدِ
وَلَا لِلنَّسَا وَالْبُرْنِيسِ أَفْهَمُهُ وَاقْتَدِي
سِوَى لِضَنَى أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَرْبٍ جُحْدِ
وَتَخْيِيطُهُ وَالنَّسْجُ فِي نَصِّ أَحْمَدِ
سِوَى مَا قَدِ اسْتَنْثَيْنَتْهُ فِي الَّذِي ابْتَدِي
حَوَى صُورَةَ لِلْحَيِّ فِي نَصِّ أَحْمَدِ
لِيَكْرَهَ كَكْتَبِ لِلْقُرْآنِ الْمُمَجَّدِ
مِنَ الذِّكْرِ فِيمَا لَمْ يُدَسَّ وَيُحْمَدِ
تَصَاوِيرَ كَالْحَمَامِ لِلدَّخْلِ اشْهَدِ
رَفِيقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ
بِلَا حَاجَةٍ كِبَرًا وَتَرْكُ الْمُعَوَّدِ
بِلَا الْأَزْرِ شِبْرًا أَوْ ذِرَاعًا لِيَتَزَدَدِ
وَمَا تَحْتَ كَعْبٍ فَاكْرَهْنَهُ وَصَعْدِ
تَنَاهَى إِلَى أَقْصَى أَصَابِعِهِ قَدِ
أَتَمَّ مِنَ التَّأْزِيرِ فَالْبَسَهُ وَاقْتَدِ
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَزْرُ أَشْهَرُ أَكْدِ

وَلُبْسِ مِثَالِ الْحَيِّ فَاحْضِرْ بِأَجْوَدِ
وَأَحْسَنُ مَلْبُوسٍ بَيَاضٌ لَمِيتِ
وَلَا بَأْسَ بِالْمَضْبُوغِ مِنْ قَبْلِ غَسْلِهِ
وَقِيلَ اكْرَهْنَهُ مِثْلَ مُسْتَعْمَلِ الْإِنَا
وَأَحْمَرَ قَانَ وَالْمُعْضَفَرَ فَاكْرَهْنِ
وَلَا تَكْرَهْنِ فِي نَصِّ مَا قَدْ صَبَغْتَهُ
وَلَيْسَ بِلُبْسِ الصُّوفِ بَأْسٌ وَلَا الْقَبَا
وَلُبْسِ الْحَرِيرِ اخْطِرْ عَلَى كُلِّ بَالِغِ
وَيَحْرُمُ بَيْعُ لِلرِّجَالِ لِلْبَيْسِهِمْ
وَيَحْرُمُ لُبْسُ مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ
وَيَحْرُمُ سِتْرٌ أَوْ لِبَاسُ الْفَتَى الَّذِي
وَفِي السِّتْرِ أَوْ مَا هُوَ مَظَنَّةٌ بِذَلِكَ
وَلَيْسَ بِمَكْرُوهٍ كِتَابَةٌ غَيْرُهُ
وَحَلٌّ لِمَنْ يَسْتَأْجِرُ الْبَيْتَ حَكَّهُ الدِّ
وَفِي نَصِّ اكْرَهَ لِلرِّجَالِ وَلِلنِّسَا الرَّ
وَيُكْرَهُ تَقْصِيرُ اللَّبَاسِ وَطَوُّهُ
وَأَطْوَلُ ذَيْلِ الْمَرْءِ لِلْكَعْبِ وَالنَّسَا
وَأَشْرَفُ مَلْبُوسٍ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ
وَلِلرُّضْعِ كُمْ الْمُصْطَفَى فَإِنْ ارْتَحَى
وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ السَّرَاوِيلِ سِتْرَةً
بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَأَحْمَدِ

وَيُكْرَهُ مَعَ طَوْلِ الْغِنَا لُبْسُكَ الرُّدِيِّ
جُلُودَ حَلَالٍ مَوْتُهُ لَمْ يُوطَّدِ
وعنه لِيُلْبَسَ وَالصَّلَاةُ بِهِ أَصْدَدُ
سَيُكْسَى الثِّيَابَ الْعَبَقْرِيَّاتِ فِي غَدٍ
وَلَا سِيَّماً فِي لُبْسِ ثَوْبٍ مُجَدِّدٍ
تُثَبُّ وَتُزْدُ رِزْقاً وَارْغَامَ حُسْدٍ
إِلَيْهِ كَذَا قُلْ عِشْ حَمِيداً تُسَدِّدُ
عَقِيَّتِي وَبَلُورَ وَشِبْهِ الْمَعْدَدِ
وَيَحْرُمُ لِلدُّكْرَانِ خَاتَمُ عَسَجِدِ
وَيُكْرَهُ فِي الْوُسْطَى وَسَبَابَةُ الْيَدِ
فَعَنْ كُتُبِ قُرْآنٍ وَذِكْرٍ بِهِ أَصْدَدُ
وَفِي الْخَلْعِ عَكْسٌ وَأَكْرَهُ الْعَكْسُ تَرْشُدِ
اخْتِياراً أَصْبَحَ حَتَّى لِإِضْلَاحِ مُفْسِدِ
أَذَى وَافْتَقَدَهَا غِنْدَ أَبْوَابِ مَسْجِدِ
وَتَخْصِيصُ حَافٍ بِالطَّرِيقِ الْمُمَهَّدِ
مِنَ الشَّعْرِ مَعَ أَصْحَابِهِ بِهِمْ اقْتَلَدِ
بِصَرَّارِهَا زِيَّ الْيَهُودِ فَأَبْغَدِ
تَمَعَّدُ وَاخْشَوْشِ وَلَا تَتَعَوَّدِ
مَظَنَّةَ كِبَرٍ غَيْرَ فِي حَرْبٍ جُعْدِ
كَذَاكَ التَّصَاقُ اثْنَيْنِ عُرْيَا بِمَرْقَدِ
وَلَوْ اخْوَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ تُسَدِّدِ

وَيَحْسُنُ تَنْظِيفُ الثِّيَابِ وَطَيِّهَا
وَلَا بَأْسَ فِي لُبْسِ الْفِرَاءِ وَاشْتِرَائِهَا
وَكَاللَّحْمِ الْأَوَّلَى أَحْظَرَنَ جِلْدُ ثَعْلَبِ
وَمَنْ يَرْتَضِي أَذْنَى اللَّبَاسِ تَوَاضَعاً
وَيَحْسُنُ حَمْدُ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَكُنْ شَاكِراً لِلَّهِ وَارْضَ بِقَسَمِهِ
وَقُلْ لِأَخٍ ابْنٍ وَأَخْلِقِ وَيُخْلِفُ الْ
وَلَا بَأْسَ فِي الْخَاتَامِ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ
وَيُكْرَهُ مِنْ صُفْرِ رِصَاصٍ حَدِيدِهِمْ
وَيَحْسُنُ فِي الْيُسْرَى كَأَحْمَدُ وَصَحْبِهِ
وَمَنْ لَمْ يَضَعُهُ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْخَلَا
وَيَحْسُنُ فِي الْيَمْنَى ابْتِدَاءً انْتِعَالِهِ
وَيُكْرَهُ مَشْيُ الْمَرْءِ فِي فَرْدٍ نَعْلِهِ
وَلَا بَأْسَ فِي نَعْلِ يُصَلِّي بِهِ بِسَلاً
وَيَحْسُنُ الاسْتِرْجَاعُ فِي قَطْعِ نَعْلِهِ
وَقَدْ لَيْسَ السُّبُتِيُّ وَهُوَ الَّذِي خَلَا
وَيُكْرَهُ سِنْدِي النَّعَالِ لِعُجْبِهِ
وَسِرِّ حَافِيّاً أَوْ حَازِياً وَامْشِ وَارْكَبْ
وَيُكْرَهُ فِي الْمَشْيِ الْمُطِيطَا وَنَحْوَهَا
وَيُكْرَهُ لُبْسُ الْخُفِّ وَالْأَزْرِ قَائِماً
وَيُنْتَنَى وَافْرُقَ فِي الْمَضَاجِعِ بَيْنَهُمْ

مِنْ الدَّهْنِ وَالْأَلْبَانِ لِلْفَمِ وَالْيَدِ
 قَفَاكَ وَرَفَعَ الرَّجُلِ فَوْقَ اخْتِيهَا أَمْدُ
 عَلَيْهِ بِتَخَجُّبٍ لِحُوفٍ مِنَ الرِّدِي
 وَنَوْمٌ عَلَى وَجْهِ الْفَتَى الْمُتَمَدِّدِ
 وَنَوْمٌ مِنَ الْمَرْوِيِّ مَا شِثَّتْ تَرْشُدِ
 وَنَوْمٌ عَلَى الْيُمْنِيِّ وَكُحْلٌ بِأَثْمِدِ
 وَكَنْ حَازِمًا وَاحْضِرْ بِقَلْبٍ مُوَيْدِ
 تَعِشْ فِي ضِرَارِ الْعَيْشِ أَوْ تَرْضَ بِالرِّدِي
 تَكُنْ أَبَدًا فِي حُكْمِهَا فِي تَنَكُّدِ
 إِذَا كُنْتَ ذَا فَقْرٍ تَذَلُّ وَتُضْهِدِ
 تَسْمَعُ إِذَا أَنْوَاعَ مِنْ مُتَعَدِّدِ
 يَرْوُحُ عَلَى هَوْنٍ إِلَيْهَا وَيَغْتَدِي
 وَسَامِعُ تَنْلُ أَجْرًا وَحُسْنُ التَّوَدِّدِ
 عَوَارٍ إِذَا لَمْ يَذُمَّمِ الشَّرْعَ تَرْشُدِ
 عَوَانٍ لَدَيْنَا اخْفِظْ وَصِيَّةَ مُرْشِدِ
 وَلَا تَرْفَعَنَّ السُّوْطَ عَنْ كُلِّ مُعْتَدِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ ضِلْعٍ مُسَرَّدِ
 تَوَلُّوْا إِلَى تُهْمَى الْبَرِيِّ الْمُشَدِّدِ
 سَتَرْجِعُ عَنْ قُرْبٍ إِلَى أَصْلِهَا الرِّدِي
 وَلِذِ بَوَجَاءِ الصَّوْمِ تُهْدَى وَتَهْتَدِي
 فَحَسِّنْ إِذَنْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ وَجُودِ

وَيُكْرَهُ نَوْمُ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ غَسْلِهِ
 وَنَوْمُكَ بَعْدَ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ أَوْ عَلَى
 وَيُكْرَهُ نَوْمٌ فَوْقَ سَطْحٍ وَلَمْ يُحِطْ
 وَيُكْرَهُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ جِلْسَةً
 وَقُلْ فِي انْتِبَاهِ وَالصَّبَاحِ فِي الْمَسَاءِ
 وَيَحْسُنُ عِنْدَ النَّوْمِ نَفْضُ فِرَاشِهِ
 وَخُذْ لَكَ مِنْ نُضْجِي أُخِي نَصِيحَةً
 وَلَا تَنْكِحَنَّ إِنْ كُنْتَ شَيْخًا فُتِيَّةً
 وَلَا تَنْكِحَنَّ مَنْ تَسْمُ فَوْقَكَ رُبَّةً
 وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي مَالِهَا وَأَثَائِهَا
 وَلَا تَسْكُنَنَّ فِي دَارِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا
 فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ فِي فَضْلِ عَرْسِهِ
 وَلَا تُنْكِحَنَّ بَذْلَ الْيَسِيرِ تَنْكُودًا
 وَلَا تَسْأَلَنَّ عَنْ مَا عَهِدَتْ وَغُضَّ عَنْ
 وَكُنْ حَافِظًا إِنَّ النِّسَاءَ وَدَائِعُ
 وَلَا تُكْثِرِ الْإِنْكَارَ تُزْمَى بِتُهْمَةٍ
 وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ تُقِيمَ اغْوِجَاجِهَا
 وَسُكْنَى الْفَتَى فِي غُرْفَةٍ فَوْقَ سِكَّةٍ
 وَإِيَّاكَ يَا هَذَا وَرَوْضَةً دِمْنَسَةٍ
 وَلَا تَنْكِحَنَّ فِي الْفَقْرِ إِلَّا ضَرُورَةً
 وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ النِّسَاءَ لِعِبُّ لَنَا

وَحَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظَرًا
 قَصِيرَةً أَلْفَاطٍ قَصِيرَةً بَيِّنَةً
 عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَظْفَرُ بِالْمُنَى الْ
 حَسِينَةَ أَضَلَّ مِنْ كِرَامٍ تَفُزُ لِمَذْنُ
 وَوَاحِدَةً أَذْنَى إِلَى الْعَدْلِ فَاقْتَنِعْ
 وَمَنْ عَفَّ تَقْوَى عَنْ مَحَارِمٍ غَيْرِهِ
 فَكَابِدُ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
 وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبْهَلًا
 فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ
 فِي قَمْعٍ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ اغْتِرَازَهَا
 فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَا
 فِي خَلُوءِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنْسُهُ
 وَيَسْلَمْ مِنْ قَيْسِلٍ وَقَالَ وَمِنْ أَدَى
 وَكُنْ جِلْسَ بَيْتٍ فَهُوَ سِتْرٌ لَعَوْرَةٍ
 وَخَيْرُ جَلِيسِ الْمَرْءِ كُتُبُ تَفِيدُهُ
 وَخَالِطُ إِذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّقِي
 يُفِيدُكَ مِنْ عِلْمٍ وَيَنْهَكَ عَنْ هَوَى
 وَإِيَّاكَ وَالْهَمَّازَ إِنْ قُمْتَ عَنْهُ وَالْ
 وَلَا تَصْحَبِ الْحَقْمَى فَذُو الْجَهْلِ أَنْ
 وَخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيهِ وَخَصْلَةٌ
 وَكُفَّ عَنِ الْعَوْرَةِ لِسَانَكَ وَالْيَكُنْ

وَمَنْ حَفِظْتَهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَدٍ
 قَصِيرَةً طَرَفِ الْعَيْنِ مَنْ كُلُّ أَبْعَدِ
 وَدُودِ الْوَلُودِ الْأَصْلِ ذَاتِ التَّعْبُدِ
 بِوَلَدِ كِرَامٍ وَالْبَكَارَةِ فَاقْصِدِ
 وَأَنْ شِئْتَ فَابْلُغْ أَرْبَعًا لَا تَزِيدِ
 يَعْفُ أَهْلُهُ حَقًّا وَأَنْ يَزِنَ يَفْسُدِ
 وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَلَّاعَ أَنْجِدِ
 وَلَا تُغْبِنَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدِ
 أَكْبُ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْبَسَدِ
 وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذِلُّ سَرْمَدِ
 وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةَ بِالرَّدِي
 وَيَسْلَمْ دِينَ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوْحِيدِ
 جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشِ بَغْيِضٍ وَحُسَدِ
 وَجِرْزُ الْفَتَى عَنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُفْسِدِ
 عُلُومًا وَآدَابًا كَعَقْلِ مُؤَيَّدِ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ أَهْلِ الثَّقَى وَالتَّعْبُدِ
 فَصَاحِبُهُ تُهْدَى مِنْ هُدَاهُ وَتَرْشُدِ
 بَذِيَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ بِالْمَرْءِ يَقْتَسِدِ
 بِرُمْ صَاحِبًا لِأَمْرِ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدِ
 تَحَلَّيْنَهَا ذِكْرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدِ
 دَوَامًا بِذِكْرِ اللَّهِ يَا صَاحِبِي نَدِي

تَكُنْ لَكَ فِي يَوْمِ الْجَزَا خَيْرَ شَهِدٍ
وَحُذْ بِنَصِيبٍ فِي الدُّجَا مِنْ تَهَجُّدٍ
قَرِيباً مُجِيباً بِالْفَوَاضِلِ يَبْتَدِي
بِقَلْبٍ مُنِيبٍ وَادْعُ تُعْطَ وَتُسَعِّدِ
بِلَا ضَجَرٍ تَحْمِدُ سُرَى اللَّيْلِ فِي غَدٍ
فَإِنَّ مَلَكَ الْأَمْرِ فِي حُسْنِ مَقْصِدِ
لِيُهْدِيَ بِكَ الْمَرْءَ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
تَنَالُ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُوَبَّدِ
بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ وَاشْكُرْهُ تَحْمِيدِ
وَبِأَذْنِي كَفَافٍ حَاصِلِ وَالتَّزْهِيدِ
رِضَاهُ سَبِيلُ فَاقْتَنِعْ وَتَقْصِدِ
غَنَى النَّفْسِ لَا عَنْ كَثْرَةِ الْمُتَعَدِّدِ
عَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ فَارْشُدْ وَأَرْشِدِ
مُقِرُّ بِتَقْصِيرِي وَبِاللَّهِ أَهْتَدِي
وَلَكِنَّهَا كَالدَّرِ فِي عَقْدِ خُرْدِ
كَرِيمَانِ إِنْ جَالَا بِفِكْرِ مُنْصَدِّ
بِسَلْسَالِهَا الْعَذْبِ الزَّلَالِ الْمُبَرِّدِ
أَحَاطَتْ بِهَا يَوْمًا بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
لِأَهْلِ النُّهَى وَالْفَضْلِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ دَائِماً لَمْ يُصَدِّدِ

وَحَصَّنَ عَنِ الْفَحْشَا الْجَوَارِحَ كُلَّهَا
وَحَافِظٌ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا
وَنَادٍ إِذَا مَا قُمْتَ بِاللَّيْلِ سَامِعاً
وَمُدٌّ إِلَيْهِ كَفٌّ فَقَرِكَ ضَارِعاً
وَلَا تَسْأَلَنَّ الْعِلْمَ وَاسْهَرِ لِنَيْلِهِ
وَلَا تَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ لِلْمَالِ وَالرِّيَا
وَكُنْ عَامِلاً بِالْعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ
حَرِيصاً عَلَى نَفْعِ الْوَرَى وَهَذَاهُمْ
وَكُنْ صَابِراً بِالْفَقْرِ وَادْرِعِ الرُّضَا
فَمَا الْعِزُّ إِلَّا فِي الْقَنَاعَةِ وَالرُّضَا
فَمَنْ لَمْ يُقْنَعُهُ الْكَفَافُ فَمَا إِلَى
فَمَنْ يَتَغَنَّى يَغْنِيهِ اللَّهُ وَالْغِنَى
وَلِيَاكَ وَالْإِعْجَابَ وَالْكِبَرَ تُحْظَبَالُ
وَهَا قَدْ بَذَلْتُ النَّصْحَ جُهْدِي وَإِنِّي
تَقَضَّيْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ ذَمِيمَةً
يَحَارُّ لَهَا قَلْبُ اللَّيِّبِ وَعَارِفُ
فَمَا رَوْضَةٌ حُقَّتْ بِنُورِ رَبِّيعِهَا
بِأَحْسَنَ مِنْ أَبْيَاتِهَا وَمَسَائِلِ
فَخُذْهَا بِدَرَسٍ لَيْسَ بِالنَّوْمِ تُدْرِكَنَّ
وَقَدْ كَمُلْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام ثبت محبتك في قلوبنا

وقوها والهمنا يا مولانا ذكرك وشكرك وأمنا من عذابك يوم تبعث
عبادك . اللهم اليك بدعائنا توجهنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا ولما عندك
من الكرم والجود والاحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا
فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى
الله على محمد وآله وسلم .

نظم الكبائر لابن عبد القوي «

وَكُنْ عَالِمًا إِنَّ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا	يَكْبُرَى وَصُغْرَى قُسِّمَتْ فِي الْمُجُودِ
فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوَعُّدٌ	بِأُخْرَى فَسِمَ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ
وَرَادَ حَفِيدُ الْمَجْدِ أَوْجًا وَعَيْدُهُ	بِنَفْيِ لَايْمَانٍ وَلَعْنِ لِمُبْعَدِ
كَشْرِكَ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا	وَأَكْلِ الرِّبَا وَالسُّخْرِ مَعَ قَذْفِ نُهْدِ
وَأَكْلِكَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِبَاطِلٍ	تَوَلَّيْتَ يَوْمَ الرَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحْدِ
كَذَلِكَ الزُّنَا ثُمَّ اللُّوَاطُ وَشُرْبُهُمْ	خُمُورًا وَقَطْعُ لِلطَّرِيقِ الْمُتَهْدِ
وَسَرْقَةُ مَالِ الْغَيْرِ أَوْ أَكْلُ مَالِهِ	بِبَاطِلٍ صُنْعِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْيَدِ
شَهَادَةُ زُورٍ ثُمَّ عَقُّ لِوَالِدِ	وَعِيبَةُ مُغْتَابِ نَيْمَةٍ مُفْسِدِ
يَمِينٍ غَمُوسٍ تَارِكٍ لِصَلَاتِهِ	مُصَلٍّ بِلَا طَهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ
مُصَلٍّ بِغَيْرِ الْوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبْلَةٍ	مُصَلٍّ بِلَا قُرْآنِهِ الْمُتَأَكَّدِ
قُنُوطُ الْفَتَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ قُلُ	إِسَاءَةٌ ظَنُّ بِالْآلِهِ الْمُوَحَّدِ
وَأَمْنٌ لِمَكْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَطِيعَةُ	لِذِي رَجَمٍ وَالْكِبَرِ وَالْخَيْلَا اَعْدِدِ
كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ	أَوْ الْمُفْتَرَى يَوْمًا عَلَى الْمُصْطَفَى أَحْمَدِ
قِيَادَةُ دَيْوُثٍ نِكَاحٌ مُحَلَّلٍ	وَهَجْرُكَ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوحَّدِ
وَتَرْكُ لِحَجٍّ مُسْتَطِيعًا وَمَنْعُهُ	زَكَاةً وَحُكْمُ الْحَاكِمِ الْمُتَقَلِّدِ

بِحَقِّ لِحَلْقِ وَاَرْتِشَاهُ وَفِطْرُهُ
 وَقَوْلُ بِلَا عِلْمٍ عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا
 مُصِرٌّ عَلَى الْعِصْيَانِ تَرَكُ تَنْزِهِ
 وَاتِّيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْرُهَا
 وَإِلْحَاقُهَا بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ
 وَتَصْوِيرُ ذِي رُوحٍ وَاتِّيَانُ كَاهِنٍ
 سُجُودٌ لِغَيْرِ اللَّهِ دَعْوَةٌ مَنْ دَعَا
 غُلُولٌ وَنَوْحٌ وَالتَّطْيِيرُ بَعْدَهُ
 وَجَوْرٌ لِمُوصٍ فِي الْوَصَايَا وَمَنْعُهُ
 وَاتِّيَانُهَا فِي الدُّبْرِ بَيْعٌ لِحُرَّةٍ
 وَمِنْهَا اكْتِسَابُ لِلرَّبَا وَشَهَادَةٌ
 وَمَنْ يَدَّعِي أَضْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ
 فَيَرْغَبُ عَنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
 وَغُشٌّ لِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ بَعْدَهُ
 وَتَرَكُ لِتَجْمِيعِ إِسَاءَةٍ مَالِكٍ

بِلَا عُذْرِهِ فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعْبُدِ
 وَسَبُّ الْأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مِنَ الْبَوْلِ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ الْمُسَدِّدِ
 عَلَى زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرِ مُمَهَّدِ
 سِوَاهُ وَكِتْمَانُ الْعُلُومِ لِمُجْتَدِ
 وَاتِّيَانُ عَرَّافٍ وَتَضْدِيقُهُمْ زِدِ
 إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ لِلضَّلَالَةِ مَا هُدِيَ
 وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ
 لِمِيرَاثٍ وَرَاثٍ إِبَاقٍ لَأَعْبَدِ
 وَمَنْ يَسْتَحِلُّ الْبَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ
 عَلَيْهِ وَذُو الْوَجْهَيْنِ قُلٌّ لِلتَّوَعْدِ
 يَقُولُ أَنَا ابْنُ الْفَاضِلِ الْمُتَمَجِّدِ
 وَلَا سِيَّمَا أَنْ يَنْتَسِبَ لِمُحَمَّدِ
 وَقُوعٌ عَلَى الْعَجْمَا الْبَهِيمَةِ يُفْسِدِ
 إِلَى الْقَيْنِ ذَا طَبْعٍ لَهُ فِي الْمُعَبَّدِ

تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ
 الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ
 وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ
 الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مَنْ فِي صِلَاحِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ
 وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هَلَاقِهِ عِزٌّ وَصِلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يُلْغِي
 شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَتْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ
 وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِي مَرَضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ
 بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظَنَا مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ
 يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

المؤلف عبد العزيز بن محمد السلمان



